المشرق

الجامع الازهر

نبذة في تاريخه وتعليمه

للاب انكيس مالون اليسوعي

ان بين المباني الفخيمة التي يتقاطر السيّاح الى زيارتها في القاهرة اثرًا شهيرًا يخصّونهُ بالذكر في اسفار رحلهم ويطنبون في اوصافهِ وهو الجامع الازهر الذي طار صيتهُ في الممالك الاسلامية فعدَّ من ارفع ابنيتها مقامًا واخطرها شأنًا حتى تقصدهُ الطلبة فجاءوهُ ارسالًا من كل وادٍ راوب ليأخذوا العلوم عن فقهائهِ وادبائهِ. وكان لعلماء الازهر اليد الطولى في جميع معارف الدين الاسلاميّ يدرسها عليهم محبُّو العلوم على اختلاف اجناسهم وبلادهم فيستضيئون بنبراسهم ثمَّ يعودون الى اقطارهم فينشرون فيها ما تأثَّروهُ من المعارف ويرشدون اليها مواطنيهم

هذا وليس قصدنا من هذه النبذة الوجيزة ان نستوفي الكلام عن تاريخ هذا الجامع وما توالى عليهِ في كرّ الدهور من التغيير والتحسين على ايدي الخلفاء والسلاطين لان ذلك يقتضي بحثًا فسيح المجال لا تزفي حقَّهُ التواريخُ المسهبة فضلًا عن الصفحات الوجيزة في مجلة علميَّة ادبيَّة. فاننا نكتفي بذكر بنائهِ واهمّ ما مرَّ عليهِ من الحوادث في مرّ الايام وما هو عليهِ اليوم من حفلة الطلبة واتساع الدروس ليقف القراء على احوال ما وصفهُ بعض الكتبة « بالكلّية الجليلة التي طالما افتخر بها المشرق والمغرب »

١ في تاريخ الجامع الازهر

يرتقي عهد الجامع الازهر الى اوائل الدولة الفاطميَّة في مصر. وذلك ان الخليفة المعزّ لدين الله الفاطميّ كان يملك في اواسط القرن الثالث للهجرة على بلاد قيروان والمغرب

وكان ذا مدارك سامية وشدَّة بأس فحملهُ طمعهُ في توسيع نطاق ملكهِ الى ان يستولي على الديار المصريَّة وهي اذ ذاك مضطربة الاحوال متضعضعة الامور يسوسها الامير ابو الفوارس علي بن محمد الاخشيدي. فارسل المعزّ قائدَهُ جوهر بن عبد الله الكاتب الصقلّي في جيش عرمرم ليفتح الفسطاط (١. قال ابن دقاق (٢ في كتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار (٥: ٣٥): « فدخل جوهر الى الفسطاط في يوم الثلاثاء ١٧ شعبان وقيل ١٢ من سنة ٣٥٨ (٩٦٩ م) وصعد المنبر يوم الجمعة ودعا لمولاهُ المعزّ ووصلت البشائر الى المعزّ والمعزّ بافريقية في نصف رمضان من السنة المذكورة فاقام بها الى ان وصل مولاهُ في شهر شعبان سنة ٣٦١ وعمَّر مدينة القاهرة وسمّاها بالمنصوريَّة وابتدأ بالعمارة في سنة ٣٥٩. ثمَّ سُمّيت بالقاهرة عند قدوم سيدهِ الامام المعزّ لدين الله قيل لانَّ اساسها شُقّ عند طلوع كوكب رصدهُ احد السبعة الذين كانوا بديار مصر وهو كوكب يُقال لهُ القاهر » (وهو المريخُ). وقال ابن اياس في تاريخ مصر (١: ٤٦) عن المعزّ ان بزمانهِ: « صارت مصر وبلاد المغرب مملكة واحدة. وكان الخلفاء الفاطميَّة يحكمون من مصر الى الشام الى حلب الى الفرات الى مكة والمدينة الشريفة الى القدس والخليل »

امَّا بناء الجامع الازهر فقد أُنشئ في ذات السنة التي اختطَّ بها القائد جوهر مدينة القاهرة. قال المقريزي في كتاب الخطط والآثار (٢: ٢٧٣): « هذا الجامع اوَّل مسجد أُسّس بالقاهرة والذي انشأهُ القائد جوهر الكاتب الصِقلّي مولى الامام ابي تميم معدّ الخليفة امير المؤمنين المعزّ لدين الله لمَّا اختطَّ القاهرة وشرع في بناء هذا الجامع في يوم السبت لستّ بقين من جمادى الاولى سنة ٣٥٩ (٩٧٠ م) وكمل بناؤهُ لتسع (٣ خلون من شهر رمضان سنة ٣٦١ (٩٧٢ م) وجُمّع فيهِ. وكُتب بدائر القبَّة التي في الرواق

---

١) الفسطاط هي مصر العتيقة دُعيت بذلك لانَّ عمرو بن العاص ضرب فيها فسطاطهُ اي خيمتهُ لمَّا قدم لفتح منف القديمة في خلافة عُمَر بن الخطَّاب

٢) هو ابراهيم بن محمد بن ايدمر الحلبي الشهير بابن دقاق مؤلف كتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار وهو تاريخ كبير في عشرة اجزاء لم يبقَ منهُ الَّا جزءان يشتملان تاريخ مصر والفسطاط والاسكندريَّة امر بطبعهما صاحب السعادة يعقوب ارتين باشا وكيل نظارة المعارف العمومية المصريَّة

٣) وفي كتاب حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة للسيوطي (٢: ١٤٠): « لسبْع »

الاول وهي على بنية الخراب والمنبر ما نصهُ بعد البسملة: امر ببنائهِ عبد الله وليُّهُ ابو تميم معدّ الامام معزّ لدين الله امير المومنين صلوات الله عليهِ وعلى آبائهِ وابنائهِ الاكرمين على يد عبدهِ جوهر الكاتب الصقلي وذلك في سنة ٣٦٠ (٩٦٩ م)»

هذا وقيل انَّ المعزّ لدين الله سمّى الجامع المذكور بالازهر نسبةً الى فاطمة الزهراء التي كان الخليفة ينتسب اليها

ولمَّا بويع بالخلافة للعزيز بالله ابي منصور نزار ابن المعزّ سنة ٣٦٥ (٩٧٦م) جدَّد اشياء في بناء الازهر ثمَّ احبَّ ان يجعل عاصمة ملكهِ دارًا للعلوم والآداب على نحو ما كانت بغداد فارسل واحضر جماعة من الفقهاء من نواحي مصر والمغرب ومراكش وامر لهم سنة ٣٧٨ (٩٨٩م) بصلة ورزق وجعلهم أسرى معروفهِ. قال المقريزي في الخطط: «وامر لهم بشراء دار وبنائها فبُنيت بجانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة حضروا الى الجامع وتحلّقوا فيهِ بعد الصلاة الى ان تصلّى (كذا) العصر. وكان لهم ايضًا من مال الوزير (يريد وزير الخليفة العزيز ابا الفرج يعقوب بن كلس) حلّةٌ في كل سنة وكانت عدّتهم ٣٥ رجلًا وخلع عليهم العزيز يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات»

وهكذا تمَّ انشاء هذا الجامع الشهير مع المدرسة الازهريَّة اللاحقة بهِ. ولمَّا صارت الخلافة الى الحاكم بامر الله جدَّد الجامع الازهر واوقف عليهِ الاوقاف وحبس من الاملاك ما يبلغ ريعهُ ١٠٦٧ دينارًا وقد فصَّل ذلك العلامة المقريزي في كتاب الخطط (٢: ٢٧١) واستوفى فيهِ الكلام فلا حاجة الى تدوينهِ. امَّا المدرسة الجديدة فحفلت بالطلَّاب الواردين من اطراف الممالك الاسلامية لدرس الفقه وزخرت خزائنُها بالكتب المفيدة ثم تتابع الخلفاء بعد منشئها العزيز بالله فاعزُّوا العلم على مثالهِ واكرموا اهلهُ بيد انَّنا لا نعلم الَّا شيئًا قليلًا عن الدروس التي كان العلماء يدرّسونها في الجامع الازهر على عهد الدولة الفاطميَّة ولا نظنّ انَّها تجاوزت العلوم اللسانيَّة والفقهيَّة وبقي ذلك الى ايَّام الدولة الايوبيَّة

ولمَّا استبدَّ السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بالسلطنة في اواسط القرن السادس للهجرة ابطل الخطبة في الجامع الازهر واقرَّها بالجامع الحاكمي لانهُ اوسع. وقيل انَّهُ اهمل الجامع الازهر بغضًا بالدولة الفاطميَّة. قال المؤرخ المدقق العلامة المقريزيّ في الخطط (٢: ٢٧٥) والشيخ جلال الدين السيوطي في حسن المحاضرة (٢: ١٤٠):

« وكان بصدر الجامع الازهر في محرابه منطقة فضّة كما كان في محراب جامع عمرو بن العاص بمصر فقلع ذلك صلاح الدين في ١١ ربيع الاول سنة ٥٦٩ لانهُ كان فيها انتهاء الخلفاء الفاطميين فجاء وزنها خمسة آلاف درهم نقرة ». وقال المذكوران: « ولم يزل الجامع الازهر معطّلاً من اقامة الجمعة فيهِ مائة عام الى ايام الملك الظاهر بيبرس ». وكذلك أبطلت المدرسة الازهريّة كما يؤخذ من كلام المقريزيّ وان لم يصرّح بهِ جليًّا. قال العلامة فان برڤم المستشرق الخبير بعاديّات مصر العربيّة: « وامر صلاح الدين بقطع التدريس في الجامع الازهر وشتّت شمل الطلبة والمعلّمين لانهُ كان على مذهب الشافعيّة وكان مذهبهم غير مذهبهِ فضلاً عن انّهُ كان يرى فيهم من التعلّق بالدولة الفاطميّة ما كان يريبهُ »

ولمّا ادال الله جلّ اسمهُ للمماليك وافضت السلطنة فيهم الى السلطان السادس الملك الظاهر ابي الفتوح بيبرس البندقداري أعاد الخطبة والجمعة في الجامع الازهر سنة ٦٦٥ (١٢٦٧م) وجدّد فيهِ التعليم. قال الامام تقي الدين المقريزي (٢ : ٢٧٥): « وتبرّع الامير عزّ الدين (ايدمر الحلّي) لهُ بجملة مستكثرة من المال الجزيل واطلق لهُ من السلطان جملةً من المال وشرع في عمارته فعمّر الواهي من اركانهِ وجدرانهِ وبيّضهُ واصلح سقوفهُ وبلّطهُ وفرشهُ وكساهُ حتى عاد حرمًا في وسط المدينة واستجدّ بهِ مقصورة حسنة واثّر فيهِ آثارًا صالحة »

ثمّ جاس بعد الظاهر بيبرس على منصّة الملك ابنهُ محمد ناصر الدين بركة خان وكان لهُ وزير عاقل حسن السجايا كثير الآداب وهو الامير بيلبك الخازندار. فعمل هذا مقصورةً كبيرةً ورتّب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الامام الشافعي ورتّب سبعة آخرين لقراءة القرآن واقام مدرّسًا ومحدّثًا ليُسمع الحديث والرقائق ووقف على كلّ ذلك الاوقاف الدارّة. فنهضت الهمم من ميتتها وازدحمت الطلّاب الى مناهل الادب ونمت في المحروسة دوحة العلم وارتفعت اغصانها وامتدّت افنانها واتت بالاثمار الطيبة ألا وهي ما صار اليهِ الشعب المصري في ذلك الزمن من التقدّم واسباب العمران

وفي السنة ٧٠٢ حدث في مصر زلزلة هائلة قوّضت ابنيةً عديدة منها الجامع الازهر فتولى عمارتهُ الامير سلار. ثم جدّد بناءهُ سنة ٧٦١ (١٣٦٠م) الامير الطواشي

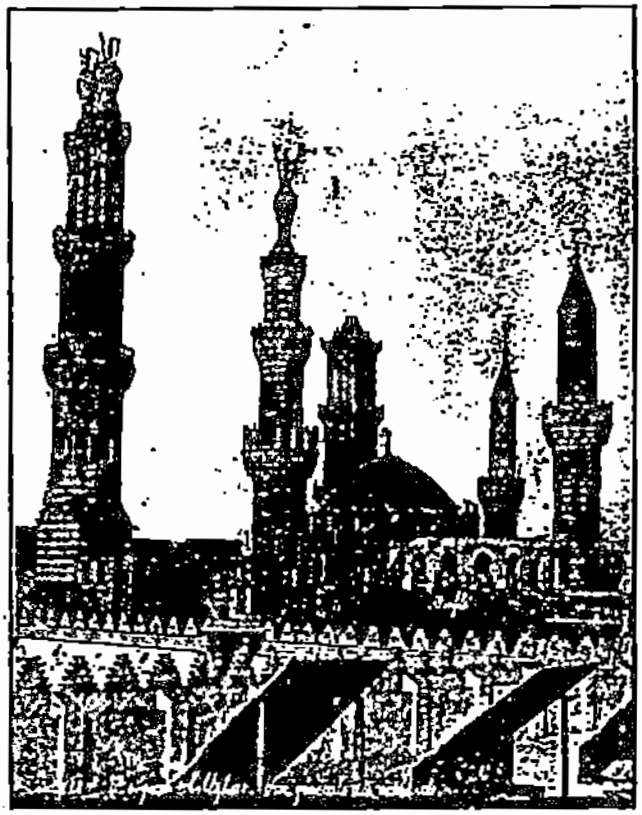

قبة الجامع الازهر ومآذنه

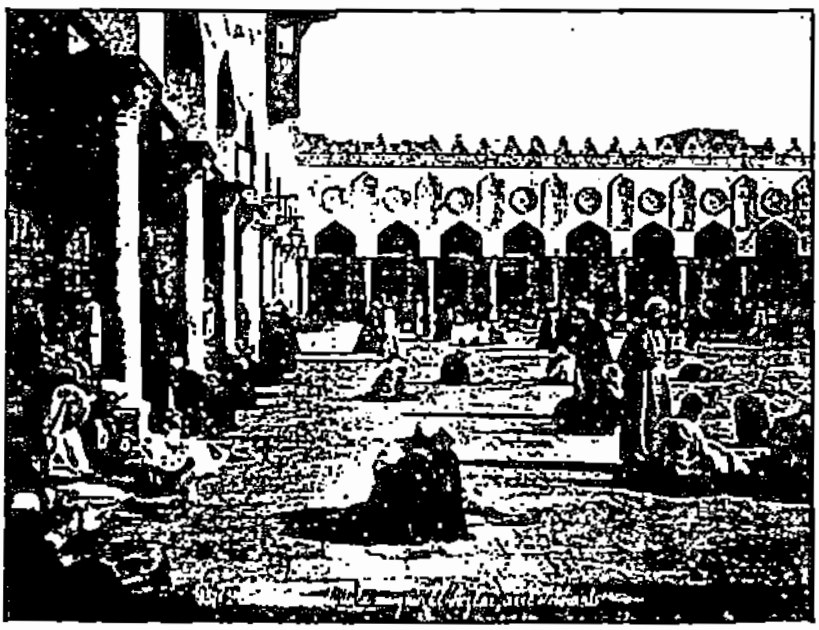

اروقة الجامع الازهر

سعد الدين بشير الجامدار الناصري وكان اثيرًا عند السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون خصيصًا به فاستأذنهُ بتجديد بناء هذا الجامع فاذن لهُ . فتزع منهُ ما كان يشوههُ وتتبع جدرانهُ وسقوفهُ بالاصلاح حتى عادت كأنها جديدة وجعل مكتبًا لاقراء ايتام المسلمين ورتب للفقراء المجاورين طعامًا يُطبخ كلّ يوم واقام مدرّسًا للفقه الحنفيّ في المحراب الكبير ووقف على كلّ ذلك اوقافًا جليلة (راجع المقريزي ٢ : ٢٧٦)

ثمّ تداولت الملوك بعد السلطان الملك الناصر صورة الجامع الازهر وهم يحسنون الى الجامع الازهر و يزيدون في رواتبهِ ويصلحون ما خرب منهُ وقد نُقشت اسماؤهم على صفائح لا تزال محفوظة الى اليوم في الجامع الازهر فلم يذهب بذكرهم الزمان والنسيان . منهم الملك الناصر فرج بن برقوق عمل صهريجًا في صحن الجامع الازهر وبنى لهُ منارة طويلة . قال المقريزي : « ولم يزل في هذا الجامع منذ بُني عدّة من الفقراء يلازمون الاقامة فيهِ وبانت عدّتهم في هذه الايام ٧٥٠ رجلًا ما بين عجم وزيالعة ومن اهل ريف مصر ومغاربة ولكل طائفة رواق يُعرف بهم فلا يزال الجامع عامرًا بتلاوة القرآن ودراستهِ وتلقينهِ والاشتغال بانواع العلوم من الفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذكر . . . وصار ارباب الاموال يقصدون هذا الجامع بانواع البرّ من الذهب والفضة والفلوس اعانةً للمجاورين فيهِ على عبادة الله وكل قليل تُحمل اليهم انواع الاطعمة والخبز والحلاوات لاسيما في المواسم » . ومنهم ايضًا الملك الاشرف قيطباي والسلطان النوري من دولة المماليك الشراكسة

وممّن اهتمّ بهذا الجامع الشهير في القرن الماضي رجلُ مصر الكبير محمد علي الذي احيا المعارف والعلوم في القطر المصري . وتتبع آثارهُ بعدهُ سموّ الخديوي عبّاس حلمي باشا فامر ببناء رواق جديد في الازهر فتأنق المهندسون في زخرفتهِ وجمعوا فيهِ من النقوش البديعة والرسوم الجميلة والفنون الهندسيّة ما يأخذ بمجامع القلوب ويستوقف الانظار فعُرف هذا الرواق بالرواق العبّاسي

هذه خلاصة اخبار الجامع الازهر في غابر الايام . ودونك وصفهُ اجمالًا في عهدنا : انّ هذا الجامع عبارة عن بناء مستطيل الشكل واسع الارجاء تنتهي زواياهُ الاربع باربع مآذن شاهقة الطول . وفي وسط البناء صحن فسيح فيهِ ثلاثة صهاريج للوضوء

تحدق به من جهاته الاربع اروقة واسعة . اما باب الجامع فمن الجهة الغربية وهو يُعرَف بباب المزينين لهُ منظرٌ جميل تقرّ بمحاسنهِ العين وهو يتركّب من قنطرتين تستندان الى عمد كثيرة محكمة الصنعة يعلوها افريز مزيَّن بالنقوش كُتب عليهِ بحروف ذهبيَّة تاريخ بناء الجامع مع بعض ابيات حكميَّة وفقرات قرآنيَّة . وفي الاروقة الشمالية خزائن تُحفظ فيها كتب التدريس وادوات الكتابة

وموقع المسجد في الاروقة الشرقيَّة وهو في غاية الجمال فيهِ من طُرف النقوش وعجائب الهندسة ما يقصر عن وصفهِ لسان وعن تسطيره يراع . يبلغ عدد اعمدتهِ ٣٨٠ عموداً وكلها من الرخام او الصوّان محكمة النحت . وفيهِ من القناديل نحو ١٢٠٠ قنديل ولهُ محرابان مزيَّنان بالرسوم الدقيقة والنقوش الانيقة وغير ذلك من الزخارف ما يأخذ بالابصار ويفتن البصائر

٢ في تعليم الجامع الازهر

بعد ذكرنا في ما تقدَّم لمعةً من اخبار الجامع الازهر يترتب علينا ان نورد شيئاً من احوال تعليمهِ ونظام تدريسهِ فنقول:

قد مرَّ بنا في مطاوي كلامنا عن تاريخ الجامع الازهر ان اول ما انكبَّ عليهِ الازهريُّون من المعارف العلوم الدينيَّة كتفسير القرآن والسُّنة والحديث واصول الفقه ثم أُضيف الى هذه العلوم بعد سنين قليلة تعيساً للقائدة درس المبادئ واللغة والادب. والحق يُقال ان علم الدين كان ولم يزل محور تدريس شيوخ الازهر داروا عليهِ في كلّ عصر جميع فنونهم وبهِ نالوا ما لهم من بعد الشهرة وانتشار الصيت حتى بلغوا فيهِ شأواً لم يدركهُ غيرهم . وقد اشتهر منهم كثيرون في العلوم الفقهيَّة على حسب المذاهب الاربعة وصنَّفوا فيها الكتب العديدة التي نُشر كثير منها بالطبع

فممَّن اصاب قصبة السبق في الفقه المالكي الشيخ الزرقاني والشيخ يوسف الصفتي والشيخ ابو الحسن والشيخ احمد الدردير والشيخ الصاوي . ولكل هؤلاء القدم الراسخة في مذهبهم والمعوّل على تآليفهم الى هذا العهد في الجامع الازهر . ومن المتأخرين الشيخ العدويّ لهُ حواشٍ عديدة على مصنفات الاقدمين والشيخ العليش الذي لم يشقّ غبارهُ احد من الفقهاء المالكيين في القرن التاسع عشر فلقَّبهُ اهل مصر لسعة علمهِ بالمالك الصغير

ومن اعيان مذهب الامام الشافعي الشيخ ابو القاسم ولهُ شرح على متن ابي شجاع

العجمي والشيخ البرماويّ والشيخ الخطيب والبيجوري الشهير ولهؤلاء الثلثة حاشية (١ على شرح ابي القاسم . وشيخ الاسلام (٢ زكريّا الانصاري (٢٦٩ — ١٥٢٠ م +) الاديب المتضلع في الفقه صنّف فيه كتابين التحرير والمنهج ثم شرحهما بنفسه . والشيخ النووي (٦٧٦ — ١٢٧٧ + م) لهُ كتاب يُدعى ايضاً المنهج شرحهُ زكريا الانصاريّ . والشيخ مصطفى العروسي وابراهيم السقـاء والشيخ الرملي (١٠٠٤ — ١٥٩٦ م +) الطائر الشهرة الذي اجتمع فيه من المعارف ما أهّلهُ ان يدعى بالشافعي الصغير

امّا مذهب ابي حنيفة فاغلب كتبه صنّفها الاعاجم اشتهر من تباعه في الجامع الازهر الشيخ البنّاء والشيخ عبد الرحمان القطب والشيخ العباسي مفتي الديار المصريّة

هذا وتضرب صفحاً عن مذهب احمـد بن حنبل لان شيوخهُ قليلون وتبّاعهُ من الطلبة يبلغ عددهم خمسين طالباً (٣

ومن العلوم التي ازهرت في الجامع الازهر علم اللغة بفروعها . وقد اجمع اليوم علماء الاسلام انهُ لولا هذه المدرسة لما استمرّت العربيّة لغة الشريعة في الممالك الاسلاميّة . وذلك لأنّ الملك بعد الخلفاء العبّاسيين صار في الهنـد والعجم والعراق والشام ومصر الى دولٍ لم تكن العربيّة لغتها الرسميّة فكانت كلُّ دولة تسوس رعيتها بلغتها الخاصّة وبقيت العربيّة في بعض المدارس اشهرُها مدرسة الجامع الازهر فانّ منـار هذه اللغة لم يزل فيها عالياً نورها زاهياً . وكان ائمتهـا ممتازين بوفرة العلوم وفصاحة كلامهم ولهم التصانيف اللغويّة المفيـدة المتبنة بطول باعهم منهم الشيخ حسن الكفراويّ الشهير شارح متن الاجروميّة لابن آجرّوم والشيخ الحمدي لهُ تقرير على شرح الكفراويّ والشيخ خالد الطـائر الصيت صاحب الشرح المعروف بالتصريح على متن التوضيح لابن هشام

---

١) الحاشية ما ينسجهُ المؤلف من التفاسير على ما كتبهُ الشارح ليوضح المبهم ويفصّل المجمل وربّما اتى وراءهم وألحق ملاحظاته بالشرح والحاشيـة ويسمى ذلك تقريراً . فيكون للتأليف الواحد المتن والشرح والحاشية والتقرير . وكلٌّ منها عادةً اطول من المتقدّم

٢) كذا يسمّى الشيخ المتولي ادارة الجامع الازهر ويقال لهُ ايضاً شيخ الجامع

٣) كان عدد الشيوخ المدرسين في الازهر قبـل بضع سنوات نحو ٣٢٠ شيخاً نصفهم من المذهب الشافعي . والباقون مالكيون وحنفيون الا ٦ و ٥ من الحنبليين امّا الطلبة المجاورون فكان عددهم نيّفاً و ١٠٠٠٠ النصف منهم شافعيون . والمالكيون نحو ٤٠٠٠ والباقون حنفيّون مع قليل من الحنبليين . واليوم زاد عدد الحنفيين على الشافعيين والمالكيين كما سترى

والشيخ ابو النجا محشي شرح الشيخ خالد. والشيخ السجاعي الذائع الذكر مصنف حاشية على شرح القطر لابن هشام وحاشية على شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك. ومنهم الشيخ الخضري احد ادباء الازهر لهُ حاشية على شرح ابن عقيل كالسجاعي. والشيخ الأشموني شارح متن الالفية وعلى شرحهِ حاشية للشيخ الصبان (١. والشيخ شمس الدين الانبابي الذي قلد رتبة شيخ الجامع وتوفي سنة ١٨٩٥. وكان هذا الرجل فريد المناقب غزير العلوم لهُ على معظم كتب المعقول جملة تقارير تبرى العليل وتشفي الغليل واما تصانيفهُ الفقهية في مذهب الامام الشافعي فما غادر فيها كبيرة ولا صغيرة الا واماط عنها الحجاب

ولم يبلغ علماء الازهر في البلاغة ما بلغوا في الدروس اللغوية فان اكثر كتب البيان والبديع المقررة اليوم في الجامع الازهر للاعاجم. وقد اشتهر مع ذلك منهم قوم فضلاء كالشيخ جلال الدين السيوطي صاحب كتاب عقود الجمان مع شرح لهُ عليهِ والشيخ البناني والشيخ الدسوقي ولكل منهما حاشية على شرح السعد العجمي. والشيخ الأخضري صاحب الجوهر المكنون وهو شارحهُ. والشيخ مخلوف من ادباء زماننا محشي شرح الاخضري والشيخ محمود مؤلف حسن الصنيع والشيخ البسيوني وكان امام سمو الخديوي عباس باشا الثاني ولهُ كتاب حسن الصياغة في علوم البلاغة

ومن الازهريين من برع في الفلسفة ولاسيما في المنطق وقد صنفوا ايضاً في ذلك تآليف حسنة منهم الشيخ الخبيصي شارح متن التهذيب والشيخ الاخضري السابق ذكرهُ صاحب السلم وهو الذي شرحهُ والعلامة الشيخ البيجوري محشي تصنيف الاخضري

وقد انكبَّ ايضاً بعض علماء الازهر على الهيئة والرياضيات والطب فادركوا في كل ذلك شأواً بعيداً على عهد الخلفاء والمماليك بيد اننا لا نظن ان هذه الفنون رُزقت بينهم عمراً طويلاً لان اكثر آثارها قد اندثرت ولم يبقَ منها شيء يُذكر

هذه هي العلوم التي ازهرت في حديقة الجامع الازهر فانبعت اثمارها واجتناها الطلاب في تداول الاحقاب على حسب ما بذلوهُ من الهمة واصابوا من ذكاء الالباب

---

١) تاريخ وفاة بعض هؤلاء النحاة توفي ابن مالك سنة ٦٧٢—١٢٧٣م وابن هشام سنة ٧٦١—١٣٦٠ وابن عقيل ٧٦٩—١٣٦٨ والاشموني ٩٠٠—١٤٩٥ والشيخ خالد الازهري ٩٠٥—١٥٠٠ والسجاعي ١١٩٧—١٧٨٣ والكفراوي ١٢٠٢—١٧٨٨ والصبان ١٢٠٦—١٧٩١ والخضري ١٢٨٨—١٨٧١

وان سألنا القارئ عن لائحة الدروس الحالية في الجامع الازهر سرنا به الى هذه المدرسة الشهيرة لتتفحص عياناً عن احوالها وطرائق تدريسها كما هي جارية في يومنا هذا. فادخل يا رعاك الله الى هذا نادي العلوم فاذا تجاوزتَ بابه وافضى بك السير الى صحنه شاهدتَ جمًّا غفيرًا من اولاد وشبان وكهول وشيوخ ينيف عددهم على عشرة آلاف مجاور لهذا المقام الخطير فتسمع جلبةً عظيمةً واذا اصغيتَ الى لهجاتهم تبينتَ منها اصولهم فمنهم المصريون والشاميون والعراقيون واليمنيون وقد قدم بعضهم من الصعيد والنوبة والسودان وطرابلس الغرب والجزائر ومراكش ولعلك تسمع ألسنة غير اللسان العربي كالفارسية والتركية والهندية الى غير ذلك من اللغات التي يتكلم بها المسلمون في انحاء المعمور. واغلب هؤلاء الطلبة يدرسون الفقه الحنفي والسبب في ذلك رغبتهم في مراتب المحاكمات الشرعية فانهُ لا يُنصَّب في مجالس الإفتاء والقضاء الّا من كان حنفيًا وكانت الاغلبية سابقًا للشافعيين. فاضحى اليوم عدد المتذهبين بمذهب ابن مالك والامام الشافعي متساويًا بالتقريب. امّا المذهب الحنبلي فتابعوهُ قليلون كما مرَّ

وجميع هؤلاء الطلبة متفرقون حسب اجناسهم فلكل جنس رواق مخصوص لهُ شيخ يتولى شؤونهُ تحت ادارة شيخ الجامع الاكبر

امّا اذا حان وقت الدرس فيتخالط اجناس الطلبة وانما يتقاسمون في درجات العلم فتراهم يجلسون على الحصير زُمرًا زُمرًا محدقين بمعلّمهم كالهالة بالقمر لا يزالون يتمايلون الى الامام والوراء او الشمال واليمين وهم مصغون الى اقوال المدرّس حتى تتطبع في عقلهم. ولا يكترث الشيخ المدرس لعدد السامعين ان كثروا او قلّوا قدموا او انصرفوا تعلّموا او لم يتعلّموا استمعوا لهُ او لغيرهِ من الشيوخ فانهُ لا حكم لهُ في كل ذلك وانما يترتب عليهِ التدريس في ساعات معلومة ليس الّا. ولا ينقطع التعليم في الازهر في كل أيام الاسبوع ما خلا مساء الخميس ونهار الجمعة برمّتهِ. وكذلك يبطل التدريس في شهر رمضان ومدة نحو شهرين في فصل الصيف

ومن امتيازات الطلبة انهم يُعافون من الجندية وقد اقرّت لهم الحكومة بذلك لتوفير عدد الداوسين وتنشيط همهم في اكتساب العلوم. والتعليم لا يكون الّا مجانًا

يقوم بنفقات المعلمين ما يُجمع من الاوقاف التي حُبست على هذا الجامع الشهير منذ عهدٍ عهيد

اما العلوم التي يتخرَّج فيها الطلبة فانها لا تختلف اختلافاً كبيراً عما كانت عليه في القرون الغابرة. فان اول ما يعكف عليه الطالب درس اللغة العربيَّة من صرف ونحو ثمَّ يباشر البلاغة والبيان وهو ينكبُّ في اثناء ذلك على علم الدين. ويشتمل علم الدين عندهم على التوحيد اي البحث عن وجوده وصفاته تعالى وعلى الفقه وتفسير القرآن وتفسير الحديث وهو الكلام المنقول عن صاحب الشريعة

والفقه عندهم قسمان نظري اي معاملة وعمليّ اي عبادة. فالعبادة مدارها على الصلاة والزكاة والصوم والحج. اما المعاملة فالبحث فيها عن الهيئة الاجتماعيَّة في الاسلام كقوانين البيع والشراء والعتق والنكاح والطلاق الى غير ذلك مما يطول شرحهُ

ويضاف الى هذه العلوم الدينيَّة شرح مبادئ المنطق على حسب ما عُرِّبت عن كتب ارسطاطاليس. اما علم الهيئة فلا يتلقَّون منهُ الَّا شطراً يسيراً وهم لا يبلغون في ذلك ما يبلغهُ اسلافهم فضلاً عن انهم لم يقفوا على ما اخترعهُ اهل العلم في هذا الشأن منذ مئتي سنة الى يومنا

هذا ومن نحو ستّ سنين اتَّسع نطاق دروس الجامع الازهر وازدادت كنوزهُ العلميَّة فأُلحق بعلومهِ درس الحساب والتاريخ والجغرافيا لكنَّ الطلبة لم يجاوزوا في ذلك مبادئ هذه الفنون ولم يرتشفوا من سلافتها الَّا صبابة

وان سألنا السائل عن حالة الدروس اليوم في الجامع الازهر وما كانت عليه في سالف الدهور اجبنا استناداً الى قول بعض الشيوخ الذين اجتمعنا بهم فتفاوضناهم في ذلك انَّ بين الحاضر والغابر بوناً شاسعاً قال الشيخ: « والسبب في انحطاط الدروس تغافل الطلبة عن اكتساب العلم فانهُ قد هبَّت منذ بضع سنوات ريحٌ تدفعهم عن سُبل العلم الصحيح الى ما فيهِ تنعُّم الانسان. ومنهم من يتَّخذ العلم ذريعة الى احراز المناصب السامية واقتناء الاموال فلم يبقَ عندهم من القرار والسكون وراحة الفكر ما يحملهم على طلب المعارف والترقي الى الذروة كمال العقل »

انتهى قول الشيخ. ونضيف نحن سبباً آخر الى ما تقدَّم فنقول: انَّ الديار المصريَّة صارت منذ عهد قريب محطَّ العلوم وموطن الاداب والفنون لاسيما المحروسة فان العلوم

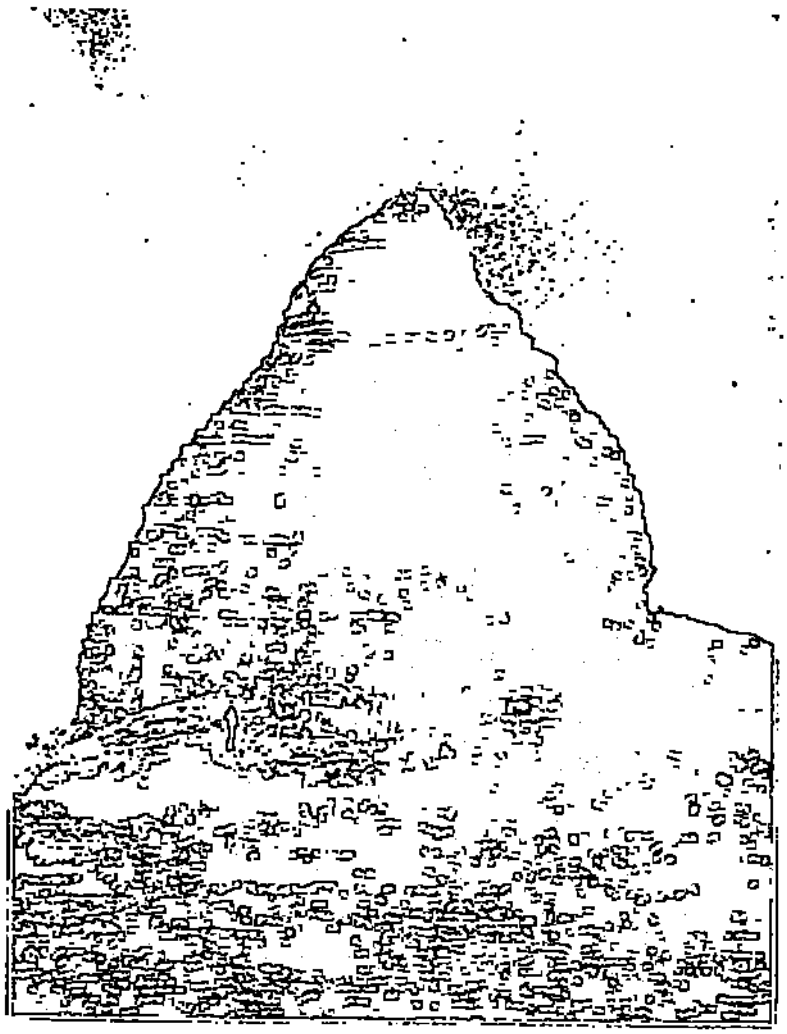

عقرقوف الحالية

الطبيعيَّة والاختراعات الحديثة والصناعات الجديدة ووسائل النقل والمواصلة بلغت فيها ما لا تراهُ الَّا في العواصم العظمى. ولذلك عمدت الحكومة المصريَّة السنيَّة الى ادراج العلوم الطبيعيَّة في سلك موادّ التدريس المقرَّرة في مدارسها. امَّا الجامع الازهر فلم يغيِّر خطَّتهُ وأبى الشيوخ إحداث شيء في طريقته التعليميَّة فاصبح الخارجون منهُ مقصرين عن القيام بمهنة التدريس في مدارس الحكومة لقلة علمهم بالموادّ المشروحة فيها. وتداركاً لهذا الخلل اقامت الحكومة مدرسة عليا للشيوخ الازهريين سمَّتها دار العلوم. وهاك ملخَّص اخبارها:

أسست هذه المدرسة سنة ١٨٧٢ بامر صاحب السموّ جنتمكان اسماعيل باشا وشرع في التدريس فيها سنة ١٨٧٣ وغرضها ترشيح مدرسين يقومون بوظيفة التعليم في المدارس والمكاتب الابتدائيَّة في جميع العلوم المقرَّرة لها ما عدا اللغة التركية واللغات الاجنبيَّة والرسم. وفي سنة ١٨٨٨ رأت الحكومة السنية ان تزيد على هذا الغرض إعداد بعض طلبة لوظائف القضاء والافتاء. وصدر في ذلك قرار نظارة المعارف العمومية في ١٠ اكتوبر سنة ١٨٩٣ وهاك نصّ المادتين ٨١ و ٣٠:

(المادة ٢٨) مدَّة التعليم للطلبة الذين يترشحون لوظائف التدريس اربع سنوات وللذين يترشحون لوظائف القضاء والافتاء خمس سنوات

(المادة ٣٠) تعطي النظارة لكل طالب اتمَّ دراسة الاربع السنوات شهادة انتهائية بكفاءته للتدريس ولمن اتمّ دراسة الخمس السنوات شهادة اخرى بانهُ ترشَّح لوظائف القضاء والافتاء وذلك بعد تأدية الامتحان السنوي

ولمَّا أُريد تطبيق هذا القرار لم يرغب الدخول في السنة الخامسة من الطلبة الذين تمموا دروسهم سنة ١٨٩٣ واستحقوا شهادة الكفاءة للتدريس الَّا اثنان فقط. ومع حصولهما على شهادة ترشحهما لوظائف القضاء والافتاء لم تقبل نظارة الحقانيَّة جواز استخدامهما الَّا بعد امتحانهما مع من اراد من طلبة الازهر الحصول على الوظائف نفسها. وحجَّة الحقانيَّة في ذلك هي « انهُ ليس للألوف المؤلفة من الطلبة الذين يؤمّون الجامع الازهر من اوجه الكسب سوى توظفهم في تلك الوظائف فضلًا عن ان جملة وظائف القضاء والإفتاء في الديار المصريَّة هي ١٤٧ وظيفة بخلاف وظائف مدرسي اللغة العربيَّة وما يدرس بها بالمدارس الاميرية وغيرها من المدارس المنتظمة فانها تبلغ ١٧٠٠ وظيفة حسب احصائية التعليم سنة ١٨٩٣ فمع اتساع

الطريق في اوجه المتخرجين من هذه المدرسة لا يكون من المناسب مزاحمتهم لانوف ليس لهم الّا تلك الطريق الضيقة خصوصاً وقد عُرفوا بايجاد المدرسة من وظائف التدريس بتلك المدارس »

فكان ما ذُكر باعثاً على عدم رغبة احد من الطلبة الحاصلين في امتحان سنة ١٨٩٤ على شهادة الكفاءة للتدريس في الدخول بالسنة الخامسة . والمدرسة الان خالية من هذه السنة ويقتصر الطلبة على وظائف التدريس كما هو الغرض الاصلي من المدرسة . ولكي ينطبق اسم المدرسة على الغرض المطلوب منها وعلى رغبة طلبتها تمام الانطباق سُنيت بقسم المعلمين العربي . وكان عدد الطلبة في سنة ١٨٩٩ ٥٠ طالباً وفي سنة ١٩٠٠ ٦٠ طالباً . ومواد التدريس كما يأتي : تفسير القرآن والفقه والعلوم الادبية والتاريخ العام والجغرافيا والحساب والهندسة والكيميا والطبيعة والثلث والنسخي والرقعة

وتحققت في هذه المدرسة آمال منشئها وظهرت بالاعمال منافعها الكثيرة فيما ابدى المتخرجون منها من سعة المعارف المختلفة ومن البراعة في تلقين الطلبة لا في مدارس الحكومة فقط بل في غيرها ولا يزال عدة منهم قائمين فيها بوظيفة التدريس احسن قيام

وفي الختام نتمنى لمدرسة الجامع الازهر ألّا تقتصر كما في السابق على التعاليم المذهبية ومبادئ المعارف البشرية بل تُضحي كالكليات المنشأة في أمهات المدن الاوربية منهلاً يستقي منهُ الطلبة الشرقيون ما احبُّوا من العلوم التي تنير العقول وتساعد المرء على ادراك غايته القصوى ومعرفته تعالى وهو خير المنيرين

سلحفاة بيروت البحرية

للاستاذ بطرس غيغ مدرس الصيدلية في مكتبنا الطبي

كتب السيو غيغ هذه النبذة في مجلة « الطبيعة » الفرنسوية (في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٠٠) ثم قدمها لمجلة المشرق وزاد عليها بعض الافادات

كنتُ وقفتُ على مقالة حسنة حرَّرها في مجلة الطبيعة العلامة دي كلاف (de Clèves) عن قوة الحياة وثباتها في بعض الحيوانات فأيدني قولهُ في صحة ما لحظتهُ من قوة الحياة في السلحفاة . ودونك الخبر

كنتُ اوصيت احد الصيادين ان يصطاد لي عند سنوح الفرصة سلحفاة بحرية (١

(١) وهي المعروفة بلسان العلماء بمنم خيلونية (Cheloniadæ)

من الصنف الشائع في ساحل البحر بين يافا وبيروت. وانما طلبتُ منهُ ذلك ليس لاختبار علمي بل للطبخ فقط لأذوق طعم لحم هذا الحيوان. ففي تاريخ ٢٦ كانون الاول ١٨٩٩ اتاني بسلحفاة متوسطة الكبر كان ثقلها ٤٠ كيلو وطولها نحو متر وكان يبلغ طول الرأس ٢٥ سنتيمترًا ودرقتها لا تزال عندي قياسها ٦٦ س طولًا في ٥٩ عرضًا — ولما اتاني بها الصياد كانت حيةً شديدة القوة رغمًا عن شجةٍ ادركتها في قحف رأسها فاختبل شيء من حركاتها. وكنتُ اجعل في فمها عصاةً قطرها سنتيمتران فتكسره كأنهُ عصافة التبن. ولما لم يجد الطباخ في مساء ذلك النهار وقتًا لذبح الحيوان اجّل الامر الى

السلحفاة البحرية

الا ان السلحفاة لم تمكنّا من ذبحها بسهولة فاحتجنا الى رجلين يضبطانها لانها كانت تضرب بمقدمتها ضربات شديدة وتحاول عضّ من يمسكها. فلما رأيتها هدأت بعض الهدوء اخذتُ رسمها بالفوتغراف كما تراهُ في الصفحة التالية. ونحو الساعة ١١ سعى الطباخ في نحرها فادخل السكين في عنقها وقطّع شرايينها فسال دمها عبيطًا غزيرًا لكنّ السلحفاة لم تمت فامرت بجزّ رأسها لظني انّ الموت يتسارع اليها اذا ما قُطع النخاع

ولمَّا فات وقت الظهر واذا بالطباخ دخل عليَّ فاخبرني ان السلحفاة لم تزل في قيد الحياة فخرجت لاعاين الامر فرأيتها تحرك رجليها . وكانت اذا لمسناها في احدى رجليها تجتذبها الى جسمها . وكان رأسها ايضاً يتحرك بعد ان جعلناهُ في وعاء ملأناه ماء وظلَّ على حركته نحو ساعتين او ثلاث ساعات

فظننتُ انني اخفف ارجاع هذه الذبيحة المسكينة بنزع الغضاريف التي تغطي صدرها واخراج قلبها وآلات حياتها الداخلية لكنَّ القوائم لم تكفَّ عن الحركة . ثمَّ شرع الطباخ في تقطيع لحمها بعد تجريدهِ من الجلد وانتزع القوائم الاربع فقطعها ايضاً الَّا واحدةً بقيت الى الساعة ٩ مساء فكانت الحركة فيها ظاهرة وهي تتشنَّج عند الوكز . وخلاصة القول ان الحياة او شبهها بقيت بارزة في كل عضو من اعضاء السلحفاة الى ان بُرِّد اللحم عن العظام

امَّا دم الحيوان فجرى منهُ بكمِّيَّة وافرة بلغت على ظني عشرة ليترات . وقد طلبهُ مني بعض الجيران وجعل فيهِ يديهِ رجاء ان يشفى بذلك على حسب اعتقاد العامَّة من شلل اصابهما

وكان لحم السلحفاة ورديَّاً شبيهاً بلحم العجل داعياً لشهوة الطعام . ولمَّا عالجهُ الطاهي بالطبخ وقدَّمهُ لنا قطعاً وقيقة لم نكد نفرز بينهُ وبين لحم العجل بيد ان طعمهُ كان كطعم سمك التنّ (thon) لا شيء فيهِ من التفاهة

وهذه السلاحف البحريَّة كثيرة في بحر الشام والصيادون لا يعبأون بصيدها قلَّما يكون في بيروت واذا ما وقعت في شباكهم رموها الى البحر

اما درقتها فلا علم لي بشأنها . والدرقة التي ترعتها عن سلحفاتي حسنة النظر ولعلَّ اهل الصنائع يستفيدون منها لو استعملوها (٢)

والطباخون في اوربَّة يجهزون لحم السلحفاة فيتخذون منهُ ضروبًا من المآكل . وهاك ما قرأتهُ في احد كتب الطبخ :

« بعد نحر الحيوان وانقطاع دمهِ تُنزع منهُ صفيحتهُ الضروفيَّة السفلى وتُخرج الاحشاء . ثم يُفصل لحم الجسم مع القوائم عن الدرقة . وفالقوائم مع العظام تصلح لحساء

٢) يعرف عندنا عظم السلحفاة بالباغة الصنعة في بلادنا يتخذون منهُ علبًا للمسبوط وانصابًا للمدى وغير ذلك (المشرق)

طيّب كحساء اللحم ولكن تُضاف اليهِ التوابل والافاويه . والاميركيون يأكلونهُ مع لحم الفراريج او قديد لحم الخنزير وشيء من الخمر وغير ذلك مما يزيد في لذّة الحساء.

اما لحم السلحفاة فيُجعل في قليل من الخل مع بقول وتوابل فاذا تحلّل بعد مدّة طُبخ بنار خفيفة »

فمما تقدم يظهر للقرّاء انَّ لحم السلحفاة من المآكل الطيّبة المريئة وان الصيّادين بنَبذها لا يُحسنون العمل بل الاولى بهم ان يصطادوها فيبيعونها للقرّاء باثمان بخسة اذا لم يُرد غيرهم اكلها

حصار المرسلين

في دار اسقفيّة باكين

معرَّب عن الجريدة اليوميّة التي حرّرها السيّد فاتيه اسقف باكين (لاحق سابق)

(الجمعة ٢٢ حزيران عيد قلب يسوع الاقدس) اليوم اضحى حصارنا تامًّا فلم يبقَ لنا وسيلة لمخابرة احد خارجاً عن حيّنا بيتنغ — هذه قائمة الاشخاص المحجور عليهم: السيد فاتيه ونائبهُ السيد جرلين ثمّ ٦ لازريون و ٦ اخوة مريميّون و ٢٢ راهبة من اخوات المحبة ٨ منهنَّ وطنيّات ثمَّ ٣٠ جنديًّا من بحارة السفينة دَنتركستو (d'Entrecasteaux) تحت امرة الضابط بولس هنري ثمَّ ١٠ من البحارة الايطاليين يأمر عليهم الضابط اوليفاري ثم ١١ داوسًا اكليريكيًّا ثمَّ ٩٠٠ صيني التجأوا الى حيّنا ثمَّ ١٨٠٠ امرأة صينيّة مع اولادهنَّ ثمَّ ٤٥٠ ابنةً من اليتامى او الدارسات ثمَّ ٥١ طفلًا لقيطاً المجموع ٣٢٧٩ شخصًا — امَّا مؤنتنا فتكفينا لشهر بنيف قليل اللهمَّ اذا لم يُعطَ كلّ شخص سوى نصف كيلو (١٥٦ درهمًا) كل يوم — امَّا اسلحتنا فهذا مجملها ٤٠ بندقيّة في ايدي البحارة يضاف اليها سبع او ثماني بندقيّات أُخرى مختلفة الاجناس في ايدي الصينيين ثم ٥٠٠ رمح او بالحري ٥٠٠ عصاة مسنَّنة ليس الّا. امَّا السور الذي يقي لهؤلاء الدفاع عنهُ فتبلغ دائرتهُ ١٣٦٠ مترًا

كنتُ اصدرتُ سابقًا امرًا قررت بموجبهِ تكريس نيابة باكين الرسوليّة الى قلب يسوع الاقدس في هذا النهار. فاجتمعنا الساعة ٦ ٧ في الكنيسة لتلاوة فعل التكريس

امام المذبح. فبينما الكاهن يتلو الاسطر الاولى من هذه التقدمة اذ سمعنا ضربة مدفع هائلة صدمت جدار الكنيسة من جهة الشرق وكسّرت زجاج احد نوافذها فسقط الزجاج على رأس امرأة هناك فقتلها. فصاح الجميع بالويل والثبور والتجأ كل الحضور الى الجهة الغربيّة في المعابد الصغرى والموّفه (سكرستيا). الّا ان القوم اضطرّوا بعد قليل الى الخروج من الكنيسة خوفًا من ان تهبط فوقهم. فان ضربات المدافع صارت تتوالى بسرعة عجيبة وتسقط القنابل على سقف الكنيسة واعاليها وكان عدد مدافع العدوّ ١٤ مدفعًا كلها خارجة من معمل كروب من الطرز الجديد. امّا القذائف فكانت من نوع شرپنل (Schrappnell). وفي هذا الصباح تشوّه وجه الكنيسة الكاتدرائية بضرب المدافع وسقطت من اعالي الكنيسة عدّة عواميد صغيرة كانت تزين النوافذ المزدوجة وتلفت ايضًا قبب الاجراس الصغرى الّا ان الصليب لم يُصَبْ بأذًى — الساعة ٣٧ مساء تتابعت ضربات المدافع حتى ظننّا ان الاجل قريب — نحو الساعة ٥ زاد طمع الصينيين فينا حتى انهم جعلوا مدفعًا بازاء بابنا الكبير على مسافة ٣٠٠ متر فاطلقوا قنبلة مصتة على رتاج الباب فكسروا احد مصراعيه. فلمّا رأى الضابط هنري ما بلغت اليه قحة اعدائنا خرج واربعة من مجاوتهِ مع ٣٠ صينيًا متنصرًا فمشوا الى الطوبجيّة ينشّطهم السيد تجولين وتمكّنوا رغمًا عن ضرب البندقيّات التي كانت تطر عليهم كوابل المطر من نوع المدفع فرجعوا به ظافرين. لكنّهُ قُتل منّا نصرانيان وجُرح اثنان آخران — وبعد انتصارنا بقليل سكتت المدافع فملا هتاف البوكسر ورجعوا عنّا بعد ان احرقوا البيوت المجاورة لجهتنا الجنوبيّة وكان البوكسر في هذا اليوم امتنعوا عن ضربنا فتركوا ذلك لجنود الامير توان. وعددنا ضربات المدافع التي صوّبها العدوّ نحونا فكانت ٥٣٠ ضربة ومع كل ذلك لم يُقتل منّا الّا ثلاثة رجال وامرأة

(السبت ٢٣ منهُ) كانت ليلتنا بالنسبة الى نهار امس هادية. الّا ان العدوّ كرّر الضرب الساعة التاسعة صباحًا. وفي رأد الضحى جلستُ وضابطنا الشهم المسيو هنري وبينا انا افاوضهُ مليًا وكلانا ينظر باسف الى صفائح الرخام المتهشّمة بانفجار القنابل اذ اصابت قذيفة الصليب الاكبر الذي يشرف على وجه كنيستنا فسقط على الحضيض وطار شعاعًا فامضّني هذا المصاب واكسف بالي لاني انا الذي نصبتُ شعار ديننا فوق هذه الكنيسة منذ ١٣ سنة. اعادهُ الله الى مكانهِ ظافرًا ممجّدًا — الساعة ٤ مساء انتهى العدوّ عن

ضرب المدافع وكان عدد الضربات في هذا اليوم ٣٦٠ لم يُصب منّا احد باذى. وكنّا جميعاً نستحر بالصلاة فصاننا الرب بشفاعة البتول العذراء من كل بلاء.

(الاحد ٢٤ منهُ) منذ صباح النهار اخذ الجنود المنتظمون يُطلقون علينا الوفا من البنادق من طرز موزر ذي الدكّ السريع وهم مختفون وراء جدران الدور المحترقة. امّا المدافع فلم يتجاوز عدد طلقاتها الثلاثين لم يحصل منها كبير اذى — الساعة ٤ مساء نقل العدوّ اربعة مدافع الى الغابة التي موقعها شمالي حيّنا وجعلوا يضربون مراكزنا الشرقيّة ويقذفون القذائف على الكنيسة وباحة الدار فقُتل رجلان — سار الضابط هنري مع عشرة من جنوده لمساعدة البحّارة الايطاليين الذين ضايقهم العدوّ لقلة قراطيسهم فضرب الفرنسويّون العدوّ على بعد ٧٥٠ مترًا وقتلوا منهم ٥٠ رجلًا حتى انّهم اضطرّوا الى نقل مدافعهم من ثمّ — هذا انتصار ثان زاد قومنا شهامة فشكرنا الله الذي يحرسنا بعينهِ الساهرة ويردّ عنّا قوة العدوّ المتنطرس. كما اننا شكرناهُ على عافيتنا جميعاً مع ما يحدق بنا من الاهوال. بعد هذه الضربات المتتالية مدّة ثلاثة ايّام عاد الرجاء الى القلوب ولنا الامل ان الدول المتحالفة تأتينا وشيكًا قبل ان يظفر بنا العدى

(الاثنين ٢٥ منهُ) حظينا في ليلتنا وضحى النهار ببعض الهدوء والسكينة ولكن يخال لنا انّ ملحمةً عظيمة واقعة في جهة السفارات. امّا المدافع فهي اليوم لاطية وراء متارسها لم يرمنا الصينيون برامياها. الّا ان البنادق تخرق الجوّ كانّها البرَد لكنّنا لم نكترث لها بعد سبعة ايّام متوالية — البوكسر رجاء ان يطمعوا جنودنا في إقناء بارودهم نصبوا على سطوح البيوت المجاورة اشباحًا او مجاذير (mannequin) قصدهم ان يوهمونا بوجود عدوّ حيّ نضربهُ بقذائفنا. غير انّنا ضحكنا من سذاجتهم وادّخرنا قراطيسنا لوقت الحاجة. امّا القراطيس الباقية فلا تتجاوز ٢٧٠ قذيفة لكل جنديّ

(الثلاثاء ٢٦ منهُ) احرق البوكسر كلّ البيوت المجاورة لنا ثم جعلوا يشتغلون وراء السور الامبراطوريّ فيعلقون عليهِ السلالم وينصبون المتاريس ليتمكّنوا من ضربنا بلا عناء ولا خطر — تمطر علينا البنادق من كل جانب دون ان تُصيب احدًا منّا — عند المساء انتشاب القتال من جهة السفارات

(الاربعاء ٢٧ حزيران) الساعة ٥ صباحاً قدم علينا البوكسر لمهاجمتنا ولعلهم ظنّوا ان حامية مدخل دارنا ذهبوا فريسة قنابلهم وقذائفهم ولكن ساء ظنّهم فان بحارتنا ما رأوهم حاملين علينا برمّهم ورميهم يتقدّمهم عَلَم كبير حتى اطلقوا عليهم بندقياتهم فاصابوا منهم من شاءوا وفرقوهم شذر مذر ثمّ تأثروا اعقابهم وغنموا عدّة اسلحة رمى بها العدوّ في هربه . غير انّ الله ابتلى جاويش بحارتنا المدعو جوانيك فأُصيب بجرح بليغ في كتفه — اما العدوّ فتاظّظ غيظاً لكسرته هذه الثانية ورمانا مدّة ٦ ساعات متوالية بربوات من القذائف الحربية سقطت في الاحواش وفي كُنن الدار فقتلت احدى البنات وجرحت امرأةً في رأسها — الساعة ١١ مساء فاجأنا قوم غفير من البوكسر ورموا على بابنا الكبير قنابل محرقة وسهاماً نارية وكان بعضهم يرشّون الباب بمضخّات (طلمبات) سرقوها فملأوها بغاز البترول . وكانت جنود الدولة في اثناء ذلك تقذف علينا قذائف موزر كالمطر المدرار لئلا نتعرّض للبوكسر في سوء عملهم . غير انّ بحارتنا ابلأوا البلاء الحسن ودافعوا عن الباب الكبير فلم يدعوه يحترق والحقّ يقال انّ حاميتنا من ابطال الرجال اشبه بالاسود لهم قلوب اثبت من الجلمود وهم يعلمون العلم اليقين انّ الله يعضدهم وكلهم متسلّحون بثوب البتول الطاهرة وقد زيّنوا صدورهم بالصليب . وفي هذه الليلة الهائلة لم يُقتل منّا احد وانّما جُرح بعض الصينيين من انصارنا

(الخميس ٢٨ منهُ) قضينا نهارنا بالسلام الى الساعة ٦ مساء فحينئذٍ عاد العدوّ الى ضربنا بالبنادق وكان عددها يبلغ ٤٢ في الدقيقة — امّا الليل فاقمنا فيه الامرّين فان البوكسر حاولوا المرّة الثالثة دكّ بابنا الكبير . فضربوه ضرباً عنيفاً . امّا جنودنا فأبت نفسهم المذلّة واجمعوا في منتصف الليل على ان يكرّوا على العدوّ فحملوا عليهم حملة رجل واحد فقتلوا منهم عشرة وشتّتوا شملهم وغنموا منهم غنائم عديدة منها صناديق مملوءة بالملابس وكمّية من البارود والرصاص مع مضخّتين وجدوا فيهما متراً من البترول . بل تمكّنوا من حرق بعض البيوت التي التجأ اليها البوكسر لمحاربتنا ورجعوا دون ان يُصاب احد منهم باذية مع كثرة ما وجّه اليهم جنود الدولة من المرامي والبنادق

(الجمعة ٢٩ منهُ عيد هامتي الرسل بطرس وبولس) قدّمنا اليوم تهاني العيد لضابطنا الهمام بولس هنري فشكرنا لهُ شهامتهُ في الدفاع عنّا وتمنّينا لهُ العود ظافراً الى أنجهْ وطنهِ وذكّرناهُ بالاقارب والاحباب . فاجابنا جواب رجل شهم الطباع ابيّ النفس : « لي امل

وطيد اننا نخلص حيّنا بيتنغ. ولعلّ الموت يحترم بعضنا قبل النجاة فلا بأس. امّا انا فاني اعدُّ نفسي سعيدًا لو اتاح الله لي ان اموت في سبيل خلاصكم. فليس لديّ موت اشهى من هذا وانا ارجو انّ الله يفتح لي برحمته باب ملكوته. ولكن تحققوا انني اذا لقيت منيّتي لا أباركم الّا عند قرب خلاصكم حيث تكونون في غنًى عني. . .» فعمل فينا كلام هذا الجندي البطل وجعلنا نتوسّل اليه ألّا يخاطر بنفسه كما يفعل ولا يتهوّر في حومة القتال. وكلنا نفديه بحياتنا

امّا من جهة العدوّ فكان يومنا هذا قليل الاذى كأنّ البوكسر ارادوا ان يدّعوا في هذا النهار نزشف كأس الهناء في عيد محامينا وانّما ضربنا قط ببعض ضربات من المدافع صدمت جدراننا وكسرت زجاج نوافذنا — الساعة ١٠ مساء تلبّدت السماء بالسحب وانتلق البرق وقصف الرعد ونزل المطر الجود وقال لنا انّ الصواعق هبطت على القصر الامبراطوري — وكنّا نسمع في خلال ذلك اصوات البنادق من جهة منازل السفراء

(السبت ٣٠ منهُ) تكدّرنا صباحًا بوفاة جوانيك الجاريش الذي سبق خبر جرحه وكنّا آملين نجاتهُ لولا انّ جرحهُ ذربَ فاهلكهُ بساعات قلائل ولم يكن عندنا طبيب او جرّاح ليقوم بامره. وانّما مات موت الابطال غير آسف على الحياة مزوّدًا بكلّ اسرار الكنيسة — الساعة ١١٧ استأنف البوكسر رميَنا بالقنابل. وقد انفجر منها في الهواء نحو ١٢ قنبلة من عيار كبير لكنّنا لم نتأذَّ بانفلاقها. وكانت البندقيّات تضربنا تترى من جهة الشرق. ودما مرَّ على ذلك نحو ربع الساعة حتى صار سكوت عظيم فنظرنا واذا بقوم زهاء العشرين لابسين الملابس الفاخرة ظهروا لنا فوق الاكمة المعروفة بالبرج الابيض التي موقعها في وسط بحيرات البلاط الامبراطوري على مسافة ١٢٠٠ متر من حيّنا. فغلب على ظنّنا ان القوم من كبار الدولة تتقدّمهم سلطانة الصين والامير توان وغيرهُ من الاعيان اتوا الى هذا المقام ليشتروا بمصابنا او يحضروهُ كما يحضر الوجوه الحفلات البهجة والالعاب النارية السارّة — فلمّا رأى جنودنا هذه الجماعة احبوا ان يصوّبوا اليها بندقيّاتهم من طرز لوبل لكنّني كففتُهم عن ذلك لئلا نثير ضغائن الصينيين مع ما في صدورهم من الحزازات — الساعة ٥٧ مساء اودعنا اللحد جنديًّا القتيل في حديقة الدار على وجه بسيط وجناح السرعة لانّ بندقيّات العدو

تضرب ولا ترحم — وكان الحضور جميعهم آسفين على فقد الميت وبكاه خصوصاً الصينيون المتنصرون وهم يهتفون: « ياليت منة منا فدوا هذا البطل الصنديد بحياتهم »

(الاحد ١ تموز) سمعنا نحو الساعة ٨ اصوات المدافع من جهة الجنوب متواصلة . هل يا ترى قدمت جنود الدول المتحالفة لخلاصنا . فاننا لم نقطع الرجاء عنّا عن اسباب اليأس والقنوط — في هذا النهار اخذنا لاول مرّة نقتات بلحوم الحمير . فاذا انتهينا منها نأكل البغال والخيل وعندنا منها ثمانية عشر — فشا بين صغار المحصورين داء الجدري فكان معدل الوفيات بينهم ٧ او ٨ في اليوم

(الاثنين ٢ منهُ) خفّت هجمات البوكسر بالنسبة الى الأيام السابقة ولكن بئس الطعام طعامنا . لم يبقَ لجماعتنا المتنصرين لا بقول ولا نباتات يأكلونها وقد فقد شيء من نشاطهم الاول — بلغ مقياس الحرارة الى الدوجة ٣٨ والهواء غالبة عليه الرطوبة وهاك ١٢ يوماً ونحن منقطعون عن كل خبر فما اطول زمان الكرب علينا

(الثلاثاء ٣ منهُ) جادتنا السماء بقطر وابل فتخوفنا من سوء العقبى واذا توالت الامطار في هذا الفصل قبل اوانها ايسنا من النَّجاة — التدخين كما لا يخفى شائع في الصين بيد انَّ التبغ قد فرغ عندنا فجعل قومنا من الصينيين يجففون اوراق الكشرى (الاجاص) فيتمّسونها ثمَّ يشربونها — زادت الوفيات بين صغارنا فبلغت ١٥ في اليوم

(الاربعاء ٤ منهُ) ظهر لنا اليوم انَّ محاربة الصينيين للسفارات اشدّ من ذي قبل — بقرب الظهيرة رأينا العسكر النظامي مع البوكسر يكوّمون التراب ويجعلون لهم صفّةً مرتفعة في شمالي السور الامبراطوري . ففهمنا انهم يريدون ان ينقلوا اليها مدفعهم لضربنا فرمى جنودنا هؤلاء الاوباش ببنادقهم وقتلوا منهم ١٢ رجلاً — الساعة ٥ مساء شدَّ البوكسر على بابنا الكبير كما فعلوا سابقاً وكان ينتظرهم المدفع الذي غنمناهُ منهم سابقاً وهو مدكوك . الّا انَّ الطوبجي المتولي امر المدفع وهو احد جنود الامير توان سابقاً اسرع فاطلقهُ قبل الوقت بلا امر الضابط فبادر العدوّ للفرار تاركاً معهُ بعض الجرحى — تمكّن بعض الساعاتيين من النصارى الصينيين من تقليد قراطيس لويل وموزر وغيرهما . فاضحى نجاحهم ضامناً للدفاع عن حياتنا

(الخميس ٥ تموز) توصل عمالنا الى صُنع قذائف من عيار المدفع الذي غنمناهُ من البوكسر فجعلناهُ في دير الراهبات للمدافعة عنهنَّ من جهة الشمال. لكنَّ هذا المدفع صغير بالنسبة الى مدافع العدوّ التي تتهدَّدنا. وفي هذا النهار كانت بنادق العدوّ تصفر في آذاننا بلا انقطاع من جنوب السور الامبراطوري بلا فائدة تُذكر

(الجمعة ٦ منهُ) صرنا نتخوَّف نكبات الجوع. فاننا وزَّنا وزنًا مدققًا ما عندنا من المؤونة كالارز والقمح والذرة فاذا مجموعها يبلغ ٦٠٠٠٠ لبرة او ٣٠٠٠٠ كيلو فاذا أُعطي كلّ واحد منَّا في اليوم لبرةً واحدة امكننا ان نواصل الدفاع عشرين يومًا فقط. والمرجَّح لدينا ان في هذه المدَّة يأتينا الخلاص او يُهلكنا العدوّ — الساعة ٥ مساء سمعنا صوتًا غريبًا فاذا هو سهم ناوي من طرز كُنغراف انفذهُ العدوّ ليُنشبهُ في سقف كنيستنا فاخترق زجاج النوافذ بعد ان تاوّى كحيَّة نارية. فاسرعنا الى التقاطهِ فوجدناهُ انبوبة من النحاس المطرَّق طولها ٧٠ سنتيمترًا تنتهي بسنان مثلَّث الرأس. وللانبوبة ذنبٌ طولهُ ثلاثة امتار ونصف. وهذه السهام تخترق الجدار كالكُرات المصمتة وتضرم النَّار في ما تصيبهُ

(السبت ٧ منهُ) منذ سحر هذا النهار اخذ البوكسر يقذفون على سقوفنا حرَّاقات ودارموا على صنيعهم مدَّة ساعتين. فانفجر من هذه المرامي اكثر من ٢٥٠ حرَّاقة الَّا ان الحريق لم يمتدَّ في ابنيتنا لما اتخذناهُ من الاحتياطات كالمضخَّات والمطافئ والآنية المملوَّة من الماء والكلاليب وغير ذلك — الساعة ٩ دوى مدفعهم الذي ركزوهُ في جهة الشمال ورمانا ببعض قنابل عادية فاطلق جنودنا عليهم البنادق وحيَّوهم بضربات من المدفع الذي غنمناهُ منهم فتعجَّب التتار من صنيعنا واستبدلوا سريعًا مدفعهم بمدفع من طرز كروب فاصابت اول قذائفهِ طوبجيَّنا وهشَّمتهُ اربًا اربًا. فحرج علينا المقام وتكاثرت الثقوب في جدران حيّنا الغربيَّة. ونشبت بضع مئات من الاسهم النَّاريَّة طول هذا النهار في سقوفنا. فحرقتها ولعلَّ هذا اليوم كان من اشأم ايَّام حصارنا واثقلها وطأةً ولمَّا امسى الماء ابدل العدوّ هذه القنابل الهائلة بقذائف صينيَّة لم يحصل منها كبير اذًى بل لم ينفجر اكثرها. ومجموع ضربات هذا النهار بلغت ٣٠٠ ضربة مدفع في ١٢ ساعة فقُتل منَّا واحد وجُرح البعض. ولولا عونهُ تعالى لتلفنا في هذا اليوم وصار حيُّنا رمادًا

(الاحد ٨ منهُ) اسرعنا عند انبلاج الصباح الى تقوية الاماكن التي اضعفها

العدوّ يوم امس بمدافعه . الّا انّ الصينيين اخذوا يستأنفون بها الضرب نحو الساعة ٩ فرموا علينا كرات الرصاص ثمّ القنابل ومن مفعولها انها اتلفت تماماً شرفات برج ساعتنا — مجموع ضربات المدافع بلغ ١٠٢ وتخلّلها عدّة اسهم ناريّة اتتنا أضرارها

(الاثنين ٩ تموز) رمانا البوكسر منذ الساعة ٥ بالحرّاقات . امّا عدد ضربات المدافع فبلغ ١٠٧ في هذا النهار فضلاً عن عدد لا يُحصى من البنادق . لم يُقتل منّا احد وانّما جُرح اثنان من الصينيين — اصاب قومنا بعض الفشل لما رأوهُ في العدوّ من اللجاج والتمادي في الخصومة لاسيما اذ لحظوا انهُ يستعدّ لضربنا بالمدافع من جهتي الجنوب والغرب — من الساعة ١١ الى نصف الليل كنّا نسمع جلبة حرب عوان من جهة السفارات

(الثلثاء ١٠ منهُ) كان صبحنا هادئاً الى الساعة ١٠ فعاد البوكسر الى ضربنا بمدافعهم الشمالية فهدموا قسماً من ابنيتنا — نحو الساعة ٢ بعد الظهر زاد العدو لدداً وكان صوّب الينا من جهة الجنوب مدفعين او بالحري فوهتي نار وحديد ضرب بهما مراراً باب دارنا الكبير وكنيستنا فاضرّنا ضرراً كبيراً . فاطلق جنودنا البنادق على الطوبجيّة الصينيين وردعوهم عن غيّهم مدةً لكنّهم اتخذوا لهم بعد حين تُتراً من الحديد اختفوا وراءها وعادوا الى ضربنا — أصيب عند الباب الكبير احد بحارتنا المدعو داود برصاصة في رأسهِ فمات بعد نصف الساعة مزوّداً بالاسرار . أضحى مركز الباب الكبير خطراً جدًّا فبذل خمسة من بحّارتنا نفوسهم للمحافظة عليهِ اماً الباقون فاتقوا مراحي العدوّ متترّسين في الاسراب المحفورة لذلك — هذا النهار ضُربنا بمئة وسبع ضربات مدفع . وكانت وزن كل قنبلة ٢٥ لبرة . دخلت احداها في حجرتي وكسرت شباكهُ وسقطت على فراشي الذي كنتُ مضطجعاً عليهِ قبل سقوطها بقليل . وهذه اعجوبة أخرى من مراحمهِ تعالى على انّ معجزات هذا الحصار تعدّدت حتى صارت اكثر من ان تُحصى

(الاربعاء ١١ منهُ) أخربت احد التتر التي كان جنودنا يستترون فيها فاصلحناها بكل سرعة بينما العدوّ يصلينا بنار حامية — اصابت رصاصة من طرز موزر قبعة السيد جرلين فحجبتْ فروة رأسهِ ولولا شفاعة البتول لبُليتُ بمصاب جلل وقدتْ هذا الاسقف المفضال وثابي العزيز — جدّد العدوّ ضربنا بمدافعهِ الساعة ١٢ وبعد ذلك بقليل انفجر لغمٌ هائل فتزلزلت من جرّائهِ كل مباني حي پيتانغ ورأينا للحال عمودًا من التراب والحجارة مرتفعاً فوق سطح الارض بنحو ٣٠ متراً في جهتنا الغربيّة فبادرنا لنتبيّن

المصاب فوجدنا انّ اللغم لم يتصل باساس المباني وانّما تداعت لهُ الجدران بعض التداعي فدعمناها بالدعائم موقتًا. وقُتل بانفجار هـذا اللغم رجل واحد وجُرح البعض فشكرنا الباري تعالى على نجاتنا من هذا الهول العظيم — عند المساء والى العدوّ صرنا — انفجرت قنبلة في معبد الراهبات بضع ثوانٍ بعد خروجهنّ منهُ لاكل العشاء — اغتنمنا فرصة الليل فخرجنا الى البيوت التي كان البوكسر احتلوها امس الغابر لمحاربتنا فاحرقناها. ربمّا وجدنا فيها ٢٠ صندوقًا من غاز البترول وسيوف وبندقيّات تلتهمها النّار

(الخميس ١٢ تموز) لم يتكدّر صباحنا بمناوأة العدوّ حتى الساعة ٧ ١٠ فحينئذٍ أُطلقت علينا الكرات الكبيرة الحجم فاصاب نحو ٥٠ منها المرمى اي باب الكبير الذي اضحى في اسوإ حال ودام الضرب الى الساعة ٦ مساء

(الجمعة ١٣ منهُ) خرجنا بعد نصف الليل بساعتين الى حوالي سورنا الخارجي لمراقبة اللغوم التي يحاول العدوّ حفرها تحت حيّنا فوجدنا بعض حُفَر التي باشرها لهذه الغاية فملأناها ردمًا وعُدنا بمكبّات من الاسلاك الكهربائيّة المُلبسة بالغوتابركا كان الصينيون جعلوها هناك لتفجير اللغوم — عند الظهيرة عاد الصينيُّون الى ضرب المدافع فجُرح احد بحارتنا جرحًا بليغًا بقطع من الآجرّ في رأسهِ وأُصيب آخر بضربات مولمة — من الساعة ٧ الى ٩ مساء لم تزل تسمع زنير المدافع والبندقيّات من جهة السفارات

(السبت ١٤ منهُ) خرج ليلًا بعض المتطوّعين فأحرقوا الدور التي تحجز العدوّ عنّا وتقيهِ ضرباتنا من جهة بابنا الكبير — قُتل في غربي حيّنا احد البحارة الايطاليين الساعة ١١ برصاصة في رأسهِ. وكذا مات بقربهِ صينيٌّ من اصحابنا أطلّ ليرى ضارب الجندي الايطالي — ومع هذا كان نهارنا هادئًا لم نُضرب الّا ببضع مئات من البنادق

(الاحد ١٥ منهُ) كأنّ الصينيين في هذا اليوم ندموا على هدنتهم في يوم امس. فناوشونا القتال منذ الساعة ٩ صباحًا فرمونا في النهار فقط بنحو ١٤٠ كرة ثمّ تابعوا ضربهم في الليل — آذتنا مدافعهم المصوّبة الينا من جهتي الجنوب والجنوب الغربي فألحقت الدمار ببابنا الكبير وبقسم من كنيستنا — راقبنا ثانية في بهرة الليل اللغوم فوجدنا لغمين لم يُكملا بعد فخربناهما

(الاثنين ١٦ منهُ) واصل اليوم البوكسر ضربنا بجرّاقاتهم دون فائدة — بلغ عدد القذائف التي رمينا بها من الساعة ٩ صباحًا الى ١٠ مساء بعض المئات. قُتلت

بيننا احدى المتنصرات وأُصيب جندي منّا بيمينه والظاهر ان احداهما مفقودة

(الثلاثا. ١٧ منهُ) هذا اليوم اهدأ أيام حصارنا حتى الآن. فكانّا بالبوكسر يستعدون لامر خطير فشُغلوا عنّا ولم يضربونا لا بالمدافع ولا بالبنادق — باشرنا بقاعة لاكرام القديسة حنّة شفيعة بجارتنا البروطنيين فنذرنا لها نذرًا يقدّمهُ باسمنا الضابط الشهم هنري لميدها في بروطانية اذا ما نجونا من هذا الحصار

(الاربعا. ١٨ منهُ) اليوم صباحًا بالغنا غاية جهدنا في صُنع بناية تقينا من انفجار اللغوم لأننا نسمع منذ بضعة ايامًا اصواتًا خفيّة تحتنا في غربي حيّنا من جهة السور الامبراطوري — الساعة ١١ انتقل العدوّ مسرعًا الى جهتنا الشرقيّة عند هيكل الصينيين المعروف بإسماس. ثمّ رأينا نحو خمسين عجلة تحمل صناديق واثاثًا وتقلّ فئات من الجيش والبوكسر. فبقينا مرتابين في امرنا لا ندري هل اتانا مدد فنستبشر بالخلاص او دنت ساعة اجلنا بانفجار لغم مريع هذا سرّ لم نقف على حقيقته الّا في مساء النهار. فلمّا كانت الساعة ٥ مساء دوى اللغم المنفجر دويّ الصاعقة. فمن جرّاء هذه البليّة العظمى اضحت كل مبانينا الواقعة في الجهة الغربيّة خرابًا ودمارًا وكان عدد القتلى ٢٥ والجرحى ٢٨. فوثبنا من ساعتنا الى ذلك المحلّ لنُقاوم هجمة البوكسر اذا ما حملوا علينا لكنّهم لم يقربوا — كان من جملة القتلى احد الرهبان المرسيين المدعو الاخ يوسف وهو شاب في مقتبل السن معروف بغضاءِ وتُقاهُ ومحبوب لدى الكل وكان عمرهُ ٢٥ سنة كنّا ولّيناهُ نظارة العملة الذين يشتغلون بوقاية الدار من اللغوم. فاسف الكلّ على فقدهِ — ملأ انفجار هذا اللغم القلوب هلعًا فكان قصيفهُ يدوي في الاذان فيظنّ القوم ان لغومًا اخرى تتهدّدنا من طبقات الارض السفلى. وكانت النساء يعدونَ متحيرات. مشتّتات لا يدرينَ اين يتوجّهنَ. وكذا صغارنا ويتامانا. وفي آخر الامر دخل الجميع الكنيسة لوقوعها في وسط الحي مع ما يتوقعون فيها من الخطر الوشيك

(الخميس ١٩ تموز عيد شفيعنا القديس منصور دي پول) دفنّا صباحًا الاخ يوسف وقتلى امس بمزيد الحزن والكآبة — تناوبت بيننا وبين البوكسر ضربات البندقيات. تكشّف المدعوّ فرنك احد بجّارتنا فأُصيب برصاصة في رأسهِ وقُتل في ساعتهِ بعد ان نال الحلّة عن ذنوبهِ

(الجمعة ٢٠ منهُ) خرج الساعة ٦ مساء بعض النصارى الصينيين فاحرقوا البيوت

الخطرة التي تجاور حيّنا. وكذلك البوكسر احرقوا احد البيوت التي كانت تقيمنا في جنوبيّ بابنا الكبير — انبأنا الرقيب بان العدوّ يشتغل بامنهم جديد قرب دار الراهبات. لكنّ العَمَلة لما دهمهم من الرَّوْع باضجار اوّل امس تأخروا عن العمل لخوفهم

(التتمّة للعدد القادم)

انتقاد على

الكلم اليونانية في اللغة العربية

للكاتب الفاضل الخوري ميخائيل حويس

تحت عنوان « الكلم اليونانيّة في اللغة العربيّة » نشر حضرة العالم الفاضل الاب انستاس الكرملي مقالة طويلة في بعض اعداد مجلة المشرق الجليلة في سنتيها المنصرمتين فازاح بواسع علمه قناع الشك عن محيًّا طائفة عديدة من تلك المستعربات. وقد افاد بها اجاد في كثير من مباحثه الدقيقة واستأهل شكرًا لذلك جزيلًا لانهُ كما اذكر هو اول من وطئ هذه العقبة الكؤود التي كان قد اقتحمها غيره من اللغويين فعادوا عنها ناكصين اذ ساورت بعضًا منهم هيبة المقام وخذلت آخرين مثبطات الايام عن اعادة الكرَّة والاقدام

ولمّا كنتُ ممّن اشرأبّت اعناقهم الى الاستفادة وكان قد بدا لي نظرٌ في بعض الكلمات قرَّر يونانيّتها أحببتُ ان ابدي ما عنَّ للفكر القاصر على صفحات مجلتكم لعلَّ في الذي اكتب نظرًا آخر لحضرته او لغيره من علماء اللغة فيفيدونا بما يجودون علينا من نفثات قلمهم ممّا يثبت عربية الكلمات الآتية او عجمتها اثباتًا تؤيدهُ البراهين الدامغة فلا يشوبهُ لَبس ولا تغشاهُ شُبهة وسلفًا نشكر لهم ولحضرة صاحب المقالة الفاضل مستزيدينهُ من مواصلة نشر مثل هذه المباحث الجليلة لما وراءها من اجتناء الفوائد اللغويّة:

الدقشة والدُّقَيش (راجع المشرق ٢ : ٣٦٥)

حكم حضرتهُ بان هاتين الكلمتين معربتان عن الكلمة اليونانيّة « δακνίς » وانَّ مدلولها واحد في المعنى وهو طائر صغير الخ. ثمَّ قال: « توهموا فيها (الدقيش) ان

مكبّرها دقشة وقالوا انّ مصغرها على غير القياس وما هذا الخروج عن القياس الّا لانها معرّبة ». . .

قلتُ انّ الكلمتين عربيّتان على ما اظنّ وليستا من العجمة في شيء لان مدلول الاولى منهما غير مدلول الثانية في المعنى. فان مدلول الاولى دودة من طائفة الحشرات بقدر الاصبع وهي رقطاء تتغلّل في العشب والكلأ الرطب. وسمّوها دقشة لصفة غالبة عليها وهي تنقيط جلدها ونقشه بالوان مختلفة. واشتقاقها من الدقش وهي كلمة عربيّة محضة والنقش يحاكيها زنةً ومعنىً (راجع قاموس). ولم يحكوا قط ان الدقشة طائر ولذا لم يُحقّهُ صاحب القاموس. امّا الدقش (١ فقد سُمع عنهم بهذا المعنى وعرّفهُ ارباب المعاجم بانهُ ضرب من العصافير ادقش وهاك شاهدًا لهُ انشدهُ يونس لغلام من العرب

يا امّاهُ أحصي الشيّهْ قد صدتُ دقشًا ثم سَندريّهْ

ولمّا كان الدقش ذا الوان واشكال كنّوا بهِ من لا يثبت على خلق واحد فقالوا ابو دُقَيش كما قالوا ايضًا براقش للتلوّن ومثل هذه الكنى مشهورة عندهم (راجع الحريري المقامة الساسانيّة). وبناء عليهِ فلم يتوهموا ان مكبّر الدقيش دقشة بل انهم صرّحوا ان الدقيش تصغير الدقش قياسًا. قال ابن بري: قال ابو قاسم الزجاج: سُئل ابن دريد عن الدقش فقال: سمّت العرب دقشًا فصغّروهُ وقالوا دُقَيش وبهِ كنّوا فقالوا «ابو الدقيش». نقل ذلك صاحب التاج في مادّة «دقش» فتراجع

واماّ نقلهُ تعريف الدقشة عن القاموس «وهو الدقشة دويبة اصغر من القطاة او طائر ادقش» وزيادة التاج عليهِ «اغبر أرقط تصغيرهُ الدقيش» فلنا فيهِ نظرٌ من وجهين

الاول منهما: قد وقع في هذا التعريف للفيروزابادي ولغيره ممّن نقل عنهُ تحريف بيّن نبّه اليهِ صاحب التاج وجاء صحيحهُ في التكملة للرضيّ ولسان العرب لابن منظور فعرّفا الدقشة بانها «دويّبة رقطاء اصغر من العظاءة» (لا من القطاة): قلتُ والذي سهّل وقوع هذا التحريف تقارب رسم الكلمتين كما هو ظاهر ولا يفتقر الى إعمال رويّة. لانهُ من المعلوم ان المقابلة لا تكون الّا بين ما كان من نوع واحد وأيّة مقابلة

١) بدون تاء للذكر والانثى كالغراب لهما

ترى بين الدقشة وهي من صغار الحشرات وبين القطاة وهي طائر في حجم الحمام بل اكبر وهو مشهور

واما الثاني فهو ان في زيادة التاج على القاموس في المحل المذكور تقديماً وتأخيراً شوَّها وجه المعنى المقصود وقد اشار اليهِ غير واحد من اللغويين فقالوا: يجب ان تكون زيادة صاحب التاج المذكورة بعد ذكر الدقش لا الدقشة وتكون على نوع ما زيادتهُ حينئذٍ استدراكاً على القاموس الذي لم يذكر صاحبهُ الدقش بمعنى طائر وذكرهُ هو نفسهُ مستشهداً عليهِ بقول العرب. قالوا: يكون الترتيب حينئذٍ هكذا: « والدقش كالنقش او طائر اغبر أُرَيقط تصغيرهُ الدُّقَيش وبهِ كنَّوا الخ ». على انهُ دون هذا الترتيب لا يستقيم المعنى ولا تصحّ زيادتهُ التي نقلها عن ابن دريد نفسه الذي صرَّح بانَّ الدُّقَيش تصغير الدَّقش كما قدَّمنا. فينتج عن ذلك ان الدقشة غير الدُّقيش وليست مكبَّر الدقيش بل ان مكبَّرهُ الدَّقش قياساً كما عرفت واخيراً ان الكلمتين عربيَّتان غير معرَّبتين فتأمَّل

٢ً الدسَّاس والدبساس بحذف الهاء (المشرق ٢ : ٣٤٧)

ان هاتين الكلمتين وان دلَّتا اتفاقاً على حيَّة خبيثة فانَّ مدلول صفات كل منهما لا ينطبق على مدلول صفات الاخرى ومن ثمَّ لا يسوغ الحكم بان الكلمتين لذاتٍ واحدة. وها نحن نورد ما قيل في شان تعريف الكلمتين ايضاحاً لقولنا فنقول:

١ً (الدبساس اليونانيَّة) جاء في مؤلف لا سيَيْد الافرنسي المطبوع في باريس سنة ١٨٧٢ (٤ : ٧٦) ما ملخَّصهُ: « ان الدبساس حيَّة عظيمة سامَّة مرقط جلد ظهرها بقشور بيضيَّة الشكل مائل سطحها الى الزرقة وحافات هذه القشور ضاربة قليلاً الى البياض. ويمتدُّ طولاً على ظهر هذه الحيَّة خط ازرق. ودارات بطنها بيضاء الخ » فينتج عن هذا البيان ان الدبساس من الحيَّات الطويلة العظيمة (كما تراها بالرسم في الكتاب المذكور) وان قشورها ذات الوان بين ابيض وازرق ومختلف وعلى ظهرها خط يمتاز بزرقته الخ. فاذا عرفت هذا هيَّا لنرى ثانياً صفات الدساس العربيَّة

٢ً (الدساس العربيَّة) فقد جاء في التاج ما حاصلهُ: « ان الدسَّاس ضرب من الحيَّات محدَّد الطرفين لا يُدرى أيُّهما رأسهُ لدقتهما وهو احمر كالدم خبيث الخ ». وسكَّان هذه الديار يعرفون هذه الحيَّة بصفاتها واسمائها فهي عندهم دقيقة كالمغزل

محدَّد طرفاها لا تتجاوز الذراع طولًا فهل يصدق هذا التعريف على تعريف الكلمة اليونانيَّة ليصحّ القول في تعريب الكلمة ؟ . هذا ولنا من تعريف الدساس استدلال آخر على ان الكلمة عربية وهو ان كلمة الدسَّاس والدسَّاسة للحيَّة المذكورة هي في الاصل صفة غالبة استقلَّت بالدلالة على الذات واشتقاقها من الدسّ وهو اخفاء الشيء تحت التراب وذلك لأنها تندسّ سريعًا تحت التراب لدقَّة رأسها وتحديده وقد سموها ايضًا النكَّاز لان رأسها محدَّد كسنان الرمح وهو من النَّكز بمعنى اللسع

ومعلوم ان اكثر اسماء الحيوان صفات في الاصل ولاسيما اسماء الحيات منها فان اسماءها وهي صفات في الاصل قد استقلَّت غالبًا في الدلالة على موصوفاتها دون ذكر الموصوف وذلك امَّا لتفرّد هذا الموصوف او الذات بصفة من الصفات خاصة بها دون غيرها من جنسها كالاسود والارقم او لشهرة هذه الذات بصفة غالبة كالنضناض لضرب منها كثير الحركة والخشَّاش للسريع الخفيف . فاذا علمت هذا فلِمَ تكون الدسَّاس والدساسة يونانيَّةً ولها اصل عربي ترجع اليه دالٌّ على ما يكون من فعلها ؟

الباذق (راجع المشرق ٢ : ٢٤٨)

هو في عرفهم ما طُبخ من عصير العنب ادنى طبخة فصار شديدًا . قال حضرتهُ : « انها معرَّبة عن الكلمة اليونانيَّة وهي βατιάκη » . وعرَّف هذه « انها كاسٌ كانت عند اليونان تستعمل لشرب الخمرة المطبوخة الخ » قلنا ان الكلمة لا شكَّ في تعريبها وقد نبَّهوا اليها ولكن لا عن اليونانيَّة بل هي معرَّبة عن كلمة باذه الفارسيَّة ومعناها نوع من الاشربة وقد ذكرها الجواليقي في كتابه المعرَّب من الكلام الاعجمي . وصرَّح بها ابو عبيدة فقال : « هي تعريب باذه وهو اسم الخمر بالفارسيَّة » . ومعلوم ان الهاء في الفارسيَّة كثيرًا ما تُبدل بقاف في الكلام المعرَّب ففي تعريب « إبريه » قالوا « ابريق » وفي « كُرده » قالوا « جردق » وهو الغليظ من الخبز كما لا يخفى

وامَّا استدلال حضرته على تعريب الكلمة بما أَلِفهُ العرب من تسمية الشيء باسم آلته كما قالوا « اذكرني بلسان صدق » . قلنا لا تنطبق هذه التسمية على تسمية العرب الشيء باسم آلته لان قولهم : « اذكرني بلسان صدق » اي بكلام صدق صحيح فصيح لان اللسان آلة الكلام امَّا الكأس فنظنّ انهُ ممَّا لا يصحّ

ان يُسمّى آلةً وانّما هو وعاء او ظرف (١

العربد ἐρπετός (المشرق ٢ : ٢٤٨)

بعد ان اورد تعريف هذه الكلمة نقلًا عن القاموس وهو « الشديد من كل شيء والدأب والعادة والذكر من الافاعي وحيّة تنفخ ولا تؤذي او حيّة خبيثة . ضد » قال : « وعدم وقوفهم على المعنى الحقيقي الاصلي ناتج عن اعجميّتها »

اقول ان مدلول العربدّ على هـذه المعاني يرجع الى واحد وهو الشديد من كل شيء . . هذا هو المعنى الاصلي للكلمة كما سترى ثمّ لا نرى مشاكلةً لفظيّة ولا موافقة معنويّة بين اللفظتين ليصحّ الحكم على ان الكلمة معرّبة . امّا عدم الموافقـة اللفظيّة فحاصلٌ من بُعد المشاكلة بينهما لاسيما متى اسقطتَ منهـا الحرف الاذلق الذي هو الباء (وهو غير اصيل في الكلمة) وأعدتَ بديله الملحق وهو الدال فعند ذلك ترى ان الكلمة صارت بعيدة الشبه عن الكلمة اليونانيّة بُعدًا شاسعاً كما تراها في الشكل (ἐρπετός)

ومما يدلنا على ان الباء غير اصيل في الكلمة وانهُ احد احرف الذلاقة الستة هو وجوب خضوع كل رباعي او خماسي للقاعدة التي قرّروها وهي : ان كل مثال رباعي او خماسي غير ذي زوائد فلا بدَّ فيهِ من حرف من هذه الستة او حرفين وربّما وُجد ثلاثة ولا يخلو الحرف الاذلق فيهِ من ان يكون اصيلًا او بديلًا او مزيدًا على اصولهِ على ان من لم يتدبّر هـذه القاعدة فانهُ يتوهم في بعض الكلمات التي يكون مدلولها واحدًا وصورتها واحدة تقريبًا (لا يفرقها عن بعضها صورةً الّا احد احرف الذلاقة) انَّ لكل منها اصلًا مستقلًا بذاتهِ مع انها ليست هي سوى اصل واحد قد تفنّنوا فيهِ بزيادة او إبدال احد احرف الذلاقة عليهِ . ولا بُعد من ان تأتيك بمثال هو الكلمة نفسها لتعلم كيف تفنّنوا فيها فنقول : ان اصل مشتقّ العربدّ هو العَرد ومعناهُ الشديد الصلب من كل شيء . ولمّا أُلحق بالرباعي جعلوهُ على اوزانهِ المختلفة فقالوا فيهِ العَرْدَد والعُرْدُد والعِرْدَد بوزن جعفر وقُنفذ ودرهم . ثم ابدلوا احد مثليهِ بحرف ذولقي فقالوا فيهِ العِرَبد والعُردم والعِرْدل والعَرَند والعِرَبدّ وهـذا بوزن قِرْشب ناهيك عن تفرّعات اخرى في الخماسي

(١) ورأينا ايضاً ان الباذق ليس مشتقًا من اليونانية « βατιάκη » . وانما اشتقّ منها لفظة اخرى معرّبة وهي « الباطية » التي شرحها الجواليقي بقولهِ « هي اناء واسع الاعلى ضيّق الاسفل » فالمعنى كما ترى يتوافق في اليونانية والعربية . وليس الامر كذلك في الباذق (ه . ل)

كالعَرَندل والعرندد. فالمدلول الاصلي لجميع هذه المتنوعات المذكورة واحد وهو الشديد الصلب من كل شيء كما تعرف من مراجعتها في مظانها

واما كلمة العربدّ التي هي موضوع كلامنا الآن انها فاقت اخواتها في زيادة الدلالة على المعنى المشترك لكون وزنها موضوعاً للدلالة على الشدّة والقوّة وما هو في معناها وهاك بعض امثلة من وزنها كالقَسْوَرْ والعَسْوَدْ والقَسْيَبْ والبِرْهَلْ والعرهمْ الخ وقد فسروها كلها بما يفيد الصلابة والشدّة ومعلوم ان الاستقراء يدلنا على ان زيادة البناء تدلّ غالباً بل دائماً على زيادة المعنى. واعلم ان « عِتْوَلْ » لما جاء من الوزن المذكور خالياً من معنى الشدّة قد عدّوهُ من الشاذّ. ونظنّ انّ بهذا البيان الوجيز كفايةً

بقي علينا ان نبحث عن باقي مدلول العربدّ. وهو الحيّة والدأب والعادة: نقول اولًا ان مدلول العربدّ على الحيّة كيفما كان وضعها او تعريفها فانهُ يرجع الى المعنى الاصلي للكلمة (وهو الشديد الصلب من كل شيء) لانّ العربدّ هو صفة لها في الاصل فانهم قالوا غضبٌ عِربدٌ اي شديد وقال الشاعر: «ولقد غضبنا غضباً عِربداً» ومن ذلك ما انشد ابن الاعرابيّ:

اني اذا ما الامر كان جِدّا ولم اجد من اقتحامهِ بُدّا

لاقي الهدى في حيّةٍ عربدّا

فاتضح ان العربدّ صفة في الاصل مطلقاً ثم استقلّت بالدلالة على نوع من الحيات موصوف بصلابتهِ وشدّتهِ. ولو لم يكن العربدّ صفةً وملموحٌ فيهِ معناهُ الاصلي لما صحّ وقوعهُ هذا الموقع

ثانياً ان الدأب والعادة هما واحد في المعنى كما هو ظاهر ومعناهما يرجع ايضاً الى المعنى الاصلي للعربدّ الذي هو الشدّة والصلابة وعليهِ فاذا فسرت العربدّ بالعادة او الدأب فلا يفهم بهما الّا العادة المتصلّبة والشديدة التي لا يلوي عنانها شيء. وهي بهذا المعنى كالجماح للفرس يؤيدهُ ما جاء في القاموس نفسهِ مادّة عَرَبَدَ حيث فسّر « ركبتُ عِرَبدي » بقوله «مضيت قلم الو على شيء» وقال صاحب التاج: وكب عِربدَهُ وعصودَهُ اذا ركب رأسهُ فلم يلوِ على شيء ولم يعرّج

اما عدم الموافقة المعنويّة بين الكلمتين فقد صار واضحاً ظاهراً بعد البيان السابق لانك متى قابلت بين المعنى الاصلي للكلمة وهو الشديد من كل شيء وبين الكلمة

اليونانية ἀσκητής التي معناها الزاهد والمتأله عرفت ان معنى هـذه لا ينطبق على معنى تلك فينتج من كل ما تقدّم ان لا موافقـة لفظيّة ولا معنويّة بين الكلمتين وان دلالة العربد على الحيّة او العـادة مجازية ترجع الى المعنى الحقيقيّ الاصليّ كما عرفت (١ (ستأتي البقيّة)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني

وكان الاب يوحنا رئيس دير نُورْت تقلا مع انهُ شيخ بالخامسة والسبعين من سنّهِ يحافظ كل المحافظة على الصيامات بأسرها سواء كانت مفروضة من الكنيسة او من قانون رهبانيّتهِ ولذلك لم يكن يخلّ بشيء منها بل يبالغ فيها. ثمّ انهُ بالرغم عن خشونة عيشهِ وشدّة تقشّفاتهِ كان بشوش الوجه كثير المؤانسة للرهبان مرؤوسيهِ ولغيرهم من الناس واما الفقراء فقد كان يحبهم محبـة خاصةً ويجزل لهم الصدقات. وكان في علائقهِ مع عظماء الارض وقورًا حازمًا ولكن مع لطف ودماثة اخلاق. يرقّ لمن اصابهُ الدهر بحوادثهِ فيخاطبهُ بما لا مزيد عليهِ من الاكرام ولم يأتهِ قط منكوب الّا واسعفهُ بما استطاع اليهِ سبيلًا مع الاعتذار لهُ عن عدم مقدرتهِ على اكثر من ذلك

٥ وكان في سنوات الخصب يأخذ من غلال الدير ما يكفي لمعيشة الرهبان ويخصّص البـاقي للمحتاجين والفقراء من اية امّة كانوا. ولهذا كان المذكورون من مسيحيين واسماعيليين ونصيريّة يأتون افواجًا الى باب الدير طالبين السماح لهم بالاقامة في املاكهِ ليخلصوا من نائب الفقر ومظالم الوجهاء في تلك الناحية فكان يجيب سؤلهم بكل قبول مُفيضًا عليهم كنوز شفقتـهِ وواضعًا تحت تصرفهم ما لهُ من المعارف الطبيّة. ولمّا فشا

(١) انّ ملاحظات حضرة الاب ميخائيل حويس على اشتقاق لفظة عربد من العربية لا تخلو من دقّة نظر على اننّا لا نرى في تعريبها شيئًا يخالف قوانين الالفاظ المنقولة عن اليونانية (راجع ما كتبنا في المشرق ١ : ٨٢١ و ٨٢٤ ثم ٢ : ٢٤٧ في الحاشية). فلا يبعد ان تكون معرّبة عنها. والله اعلم ه. ل

الطاعون في سورية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر جعل ديره كمستشفى للمصابين اذ اخذ هو ورهبانهُ يخدمونهم نفساً وجسماً بما لا مزيد عليهِ من العناية والرحمة حتى ذهب الكثيرون من الرهبان شهداء الغيرة والمروءة

وبالنظر الى هذه الفضائل والاعمال العظيمة انتشر صيت الرئيس المشار اليهِ وعلت كلمتهُ في كل الجهات المجاورة حتى ان جميع السكان في كل من جبل عكار وجبل اللكام وجبل لبنان كانوا يبجلونهُ ويجلونهُ ويعتبرونهُ كذلك وكان هو مع ذلك وديعاً متضعاً كأنهُ يجهل فضل نفسهِ ولا يعلم بشيء من تلك السمعة المستطيرة والوجاهة الكبيرة اللتين اكسبتهُ اياهما محامدهُ واحساناتهُ الى ذوي البأساء

وكان اذا اقبل على الصلاة ومناجاة الخالق عزَّ وجلَّ فضَّلها على كل خير في الدنيا فكانت تمرّ عليهِ الساعات الطوال دون ان يفتكر في الرقاد. وكثيراً ما كان اخوتهُ الرهبان متى نهبوا صباحاً يجدونهُ جاثياً أمام الهيكل مثلما تركوه بعد صلاة نصف الليل. اما الغنى الذي يطمح اليهِ الناس وينضون ركاب الجد لاجل تحصيلهِ فكان يمقتهُ موثراً عليهِ الفقر والحاجة ولهذا لم يرضَ قط ركوب الخيول الأصيلة التي كان منها عدد غير قليل في اصطبل الدير مهدى اليهِ من مقدمي الجبل وامرائهِ بل كان اذا عانى سفراً الى النواحي المحيطة بالدير لاجل نشر بشارة الانجيل يذهب ماشياً او يركب حماراً

ولما دخل الاب يوحنا الى قاعة الضيوف بادر الرسول فوقف اجلالاً وقبَّل يديهِ ثم جثا سائلاً اياه ان يصلّي على رأسهِ. فبعد ان سألهُ الاب عن سفرهِ واستعلم منهُ عن اخبار المقدَّم رزق الله قال لهُ الرسول:

ان سيدي ومولاي المقدَّم رزق الله يلثم يديك ويقدّم لابوتك واجبات الاحترام ولما كان قد نُكب بوفاة شقيقهِ المقدّم عبد المنعم فهو يلتمس منك ومن سائر الرهبان الصلاة من اجلهِ. وبما ان الشعب اللبناني باسرهِ قد اختارهُ ليكون خلفاً لشقيقهِ المذكور في المقدَّمية يرجو من ابوتك ان تتكرَّم عليهِ بزيارةٍ لانهُ يريد في مبادئ حكومتهِ ان يرتشد بمشوراتك ونصائحك الحكيمة. وهو يعلم حق العلم كم تأبى التداخل في المسائل الدنيوية وكم يشقّ عليك ترك ديرك والانقطاع عن معيشة المطالعة والتأمل غير انهُ يتوقع منك ان لا تضنَّ عليهِ باسعافك ونجدتك في هذا الوقت الصعب والزمن الحرج. واذا شاءت ابوّتك ان تتكرَّم بقراءة هذه الرسالة المخطوطة بيد المقدم رزق الله عرفت

منهـا صوابيَّة طلبهِ الذي يعود بلا ريب الى مجد الله

٤

قال الرسول هذا الكلام واخرج من جيبهِ رسالةً عليها من خارج ختم المقدَّم رزق الله ودفعها الى الاب يوحنا الذي بعد ان اجال طرفهُ فيهـا ظهرت على وجههِ امارات الحزن الشديد تنهد وبكى حتى سقطت دموعهُ على خدَّيه مبلَّلةً لحيتـهُ البيضاء الطويلة ثم صرخ قائلاً :

يا لشقاء يا لبنان وماذا حلَّ بايمان اجدادك الصلحـاء آه كيف دخلت الذئاب الخاطفة الى حظيرة الشاء

ولمَّا سمع الرهبان كلام رئيسهم اخذهم الرعب والقلق فتجمَّعوا حولهُ وسألوهُ باحترام ان يخبرهم عن سبب حزنهِ . فاجابهم لاحاجهم قرأ لهم نصَّ رسالة المقدَّم رزق الله

وكانت تشتمل على اخبار مؤلمة تمزق القلوب وتفتتها حسرةً على سلامة الايمان لانَّ المقدَّم انبأ فيها الاب يوحنا الذي علَّمهُ وهذَّبهُ وكان بمقام والدهِ ان البعاقبة الذين ابعدهم اخوهُ وشتَّتهم ومنعهم عن نشر تعاليمهم الفاسدة بين اهالي لبنان اخذوا من بعد وفاة اخيـهِ المذكور يرفعون رؤوسهم فاستقدموا من القدس الشريف احد اساقفتهم المدعو ديوسقوروس (١ وانتشروا في اكثر نواحي الجبـل يبثون سموم عقيدتهم الملتوية وقد استولوا على ثلاثة اديار ويُخشى ان تزيد صولتهم ويتسع نفوذهم فيعسر كبحهم . وختم المقدَّم رسالتهُ بقولهِ انهُ مستعدٌ لتضحية كل نفيس محافظةً على سلامة الايمان الكاثوليكي وتوطيـدهِ غير ان الظروف تقضي عليهِ بان يستعمل كل احتراز ممكن لسببين مهمَّين: اولهما ان ابن اخيهِ قد اظهر ميلاً عظيماً للشيعة اليعقوبيَّة . وثانيهما ان سلطتهُ لم تكن قد توطدت على اركان راسخة لان نائب طرابلس (٢ ابى ان يعترف بترقيتـهِ الى مقام المقدَّميَّة زاعماً انهُ قد تلقى اوامر من مصر بعدم اقرارهِ في هذه الرتبة . وقد صرَّح ان ذلك كلهُ ناتج عن مساعي البعاقبة اعدائهِ ولذلك يسأل الاب يوحنا ان يذهب اليهِ لكي يمدَّهُ بنصائحهِ الحكيمة

وكانت في اسفل الرسالة كتابة أخرى باللسان الافرنجي هذا تعريبها:

---

١) تاريخ الموارنة للدويهي ١٣٩ ٢) راجع صبح الاعشى للقلقشندي

« لا تتأخر عن القدوم الينا لان مجد الله يستدعي حضورك واملي عظيم انك تضحي طمأنينتك الشخصية في سبيل الديانة . اخوك بالرب فرا غريغون الفلنكي الراهب الفرنسيسي قاصد الكرسي الرسولي . من محبسة مار سركيس في بشراي »

فلما فرغ الاب يوحنا من قراءة الرسالة التفت الى الرهبان المحيطين به قائلاً : « ماذا ترون ايها الاخوة الاحباء هل بعد ثلاثين سنة صرفتها في الوحدة استطيع ان اقتحم خوض العالم وهياجهُ ارليس الاحرى بي ان اسمع وصيَّة الانجيل « فاترك الموتى يدفنون موتاهم » أبدوا لي رأيكم ايها الاخوة وخلِّصوني من الحيرة التي انا واقع فيها

اما الرهبان فقد اجمعوا على القول بانهُ لا يستطيع فقط بل يجب عليه ان يسارع لتجدة الديانة المهدَّدة . ثمَّ زاد احد متقدمي الرهبان على كلمات الباقين قولهُ : « كيف تقدر على الارتياب متى كان رجل فاضل قديس مثل فرا غريغون يدلُّك على ما يجب عملهُ ؟ . وقد كان في امكانهِ ان يأمرك امرًا باسم الكرسي الرسولي ولكنهُ رأى ان الظروف ومحبتك للكنيسة هي سبب كاف . فاذهب اذًا يا ابتِ لان الله هكذا يريد »

فأثرت كلمات الراهب في الاب يوحنا ذاهبةً من قلبهِ كل مذهب واعتبر ان الله اوضح لهُ ارادتهُ بفم الراهب المذكور فالتفت الى الرسول قائلاً :

تسافر غدًا وتبشِّر مولاك بقدومنا ونحن نلحق بك مجدِّين في السير على قدر ما تسمح لنا الشيخوخة بالسرعة

— ان مولاي قد امرني ان اعود في صحبة ابوَّتك محافظةً عليك ووقاية لك من الاخطار . ولا يخفى عليك ايها الاب المحترم انهُ لا امان في الطرق التي نمرُّ عليها . وقد حرَّضني الكثيرون عند قيامي من برج صافيتا ان ألازم الحذر والانتباه فقد بلغهم ان زمرة من خيالة الاسماعيليين خرجت من قلعة مصياد واقامت الكمائن على طول الطريق اصطيادًا لابناء السبيل

— لا بل ترجع يا ولدي حالًا الى مولاك المقدَّم في بشراي لاني واثق بان الله تعالى اذا كان معنا لا نخاف من احد حسب آية داود النبي التي رتلناها في صلاة هذا المساء بعينهِ . ثمَّ اننا نحن الرهبان المساكين اي شيء نخشاه من قطاع الطرق . وفضلًا عن هذا فاني اعرف امير قلعة مصياد وقد عالجت بكر اولادهِ وباذن الله شفيتهُ من مرض عضال . واما النصيريَّة فانهم كثيرًا ما يزورون كنيستنا المشيَّدة على اسم القديس جرجس ويأتون

اليه بتقادمهم وفي اغلب الاحيان ينذرون لهُ ابكار قطعانهم حتى بناتهم ايضاً ثم يشترونها منهُ بالدراهم التي يؤدونها بكل امانة لكنيسة الدير . وفي كل سنة يتجوّل رهباننا في قراهم ليجمعوا نذورهم للقديس (١ وعلى ذلك فأرح بالك من هذا القبيل واذهب الان فارقد مطمئناً لانك آتٍ من محلّ بعيد ومضطرّ ان تعود اليه غداً

فقبل الرسول يد الاب يوحنا ووضعها على رأسهِ وتنحّى وذهب الاب المذكور مع رهبانهِ الى الكنيسة لاقامة صلاة الليل . وكانت الزوبعة في ذاك الحين تزيد هياجاً واحتداماً والريح تتضاعف شدّة وهبوباً والامطار تسقط سيولاً جارفة يصاحبها قصيف الرعود التي كان لصداها زمجرة هائلة في الوهاد القريبة من الدير

وكانت تراتيل الرهبان تتنأب في بعض الاوقات على صوت الزوبعة . فتتصل الى آذان المسافر الذي ما لبث ان تسلّط عليهِ النعاس فنام مستسلماً للاحلام وما عاد يسمع لا اصوات الصلاة ولا زمجرة الرياح

٥

ولمّا لاحت انوار الفجر على ذرى الجبال التي قامت من فوقها قُبب مزاريّ النبي متّى والنبي صالح كانت الظلمة مخيّمة بعدُ على وادي حصن سليمان وديرُ القديسة تقلا كأنهُ راقد ما بين الغابات المحيطة بهِ من شجر السرو والشربين . ففي تلك الساعة فُتحت بوّابة الدير فخرج منها الخيال الذي كان قد دخل في الليلة السابقة فبعد ان سقى فرسهُ من العين الصافية النابعة في جوار الحمل بادر الى امتطائها عائداً الى برج صافيتا . وكانت الزوبعة قد هدأت وارسلت غابات الصنوبر عرفاً عطرياً منعشاً فكان الخيّال يستنشقهُ بلذة وهو ينشد الاغنية التي سبق لهُ انشادها بالامس :

لبنانُ ملجا النصارى مأمن الرهبانْ حصنٌ حصين وحامي حوزة الايمانْ
الحسن فيهِ تجمّع وارزهُ فتّانْ وماؤهُ كوثريّ واهلهُ شجعانْ

وما كان غير قليل حتى قُرعت الاجراس فوقف الخيال ورسم علامة الصليب باحترام ثم نزل في شعب ضيّق كثير الانحدار مع وعورةٍ

وفي الوقت نفسهِ امتلأت كنيسة الدير انواراً وعلت فيها التراتيل والتسابيح وبدأ الرهبان بتلاوة صلاة الصبح .

١) تاريخ وديانة النصيريّة للسيد دوسو

وكانت هذه الكنيسة فسيحة الارجاء جميلة الشكل على نسق الكنائس المارونيَّة القديمة اي انها كانت منقسمة الى ثلاثة اسواق ينتهي كل واحد منها بحنيَّة وقد صوَّروا الله الصباؤوت في الحنية المتوسطة جالساً على عرش العظمة كما رآهُ النبي حزقيال ومن حول العرش اربعة حيوانات رمزيَّة مع الملائكة وقوفاً يقدّمون لهُ البخور في مباخر من ذهب ويترنمون لهُ بالتسابيح والتماجيد

وكان المذبح منصوبًا في وسط الخوروس وهو عبارة عن بناء مستقيم الزوايا تعلوهُ قبَّة جميلة المنظر على اربعة اعمدة في رأس كل عمود تمثال يشخص الملائكة وفوق القبة تفاحة من ذهب وفوق التفاحة صليب

وكان الخوروس مفصولًا عن الدار بدربزين من خشب ذي نقوش وثقوب على مثال الشبكة وقد فُتحت فيهِ ثلاثة ابواب في مقابلة الاسواق الثلاثة لاجل الدخول منها الى القدس. وكان الدربزين مزيَّنًا بصور كثيرة على الاسلوب البيزنطي تمثل السيد المسيح والعذراء المباركة والرسل مع القديسين المعروفين في جبل لبنان

وكان سقف الكنيسة مع جدرانها من داخل مصورًا بصور بديعة بينها كتابات كثيرة سريانية خُطَّت بالقلم الاسطرنجيلي وكان يتدلى من السقف بسلاسل من نحاس مُذهب قناديل كثيرة من الفضة مع عدد من بيض النعام. ولم يكن في اسواق الكنيسة من زينة سوى ما تقدَّم ذكرهُ لانها كانت خاليةً فارغة لا مقاعد فيها ولا كراسي. وقد نُصب بالقرب من الدربزين كرسي للرئيس ولهذا كان الرهبان مدَّة صلواتهم الطويلة لا يستندون الى غير العكاكيز التي هي عبارة عن عصي طويلة تنتهي بخشبة معترضة (١

هذه هي من داخل كنيسة حصن سليمان التي كانت في القديم معبدًا لاله الشمس ثم تحوَّلت الى هيكل للاله الحق على اسم القديس جرجس

فلمَّا تمت الصلاة لبس الرئيس غفارة كبيرة مع سائر ملابس القدس وشرع في تلاوة القدَّاس الالهي على موجب الطقس السرياني القديم يعاونهُ اثنان من الرهبان لابسان بطرشيلين طويلين فكان يقول الالحان السريانية بوقار وجلال والرهبان يجاوبونهُ

(١) راجع منارة الاقداس للدويهي ١ : ١٠٢ و ١٠٤ و ١١٢ و ١٢١ — والمشرق ٣ — كنائس لبنان القديمة

على ذلك. ولما حان وقت التناول اقتربوا الى المذبح فاتخذ الرئيس ملعقة صغيرة من الذهب وقربهم سرّ الافخارستيا المقدّس تحت الشكلين (١

وفي ختام القداس ترنموا ايضاً ببعض انغام سريانية ورتلوا شيئاً من المزامير ثم خرجوا من الكنيسة واحداً بعد آخر ذاهبين الى الاهتمام باعمالهم اليومية التي كانت عبارة عن فلاحة الارض ونسخ الكتب العديدة السريانيّة

واذ ذاك هم الاب يوحنا بالسفر فهيأ في الحال ما يلزمهُ وامر ان يؤتى بالحمار الذي كان لهُ عادة بركوبهِ. واذ ذاك حضر شاب فخرّ راكعاً على قدمي الاب المذكور وسألهُ بالحاح ان يأذن لهُ في مصاحبتهِ

وكان الشاب من بلاد جبيل اتى من بضعة اشهر الى الدير مشتاقاً اليهِ بما سمع عن الاب يوحنا من العلم الجزيل والقداسة الرائعة. وكان اسمهُ جبرائيل بن القلاعي (٢

ومع انهُ قد اتى الدير ناويًا ان يعتنق الحياة الرهبانية اقام فيهِ كل تلك المدة مختبرًا دعوتهُ ولذلك استمرّ لابساً ملابس العوام لانهُ كان يودّ قبل الجزم بالامر ان يستشير قرا غريغون ويعمل بموجب نصيحتهِ وبما ان الاب يوحنا كان يحبهُ كثيرًا نظرًا لما تزيّن بهِ من الاوصاف الحسنة رضي عن طيبة خاطر ان يصحبهُ في رحلتهِ هذه

وكان ابن القلاعي كما تقدم القول شابًا نغض الاهاب ومع حداثة سنهِ كانت قد عرضت لهُ بليّة تستحق الذكر وهي انهُ لما كان وحيداً لابوين من ذوي الثراء واليسار خطبا لهُ ابنة من ذوات قرباه جميلة المنظر. فلما وافت ليلة العرس واحتشدت النساء حول الصبية المخطوبة يجلونها حسب عادة اهل البلاد حدث ان احداهنّ ادنت اليها من غير انتباه قنديلاً فعلق اللهيب باطراف منديلها فسرى الى سائر ملابسها وتسارعت النساء اليها لاطفاء النار فما قدرنَ على شيء وهكذا ماتت الصبية بعد ساعة من احتراقها ما بين آلام مخيفة تتقطّر لها المرائر حزنًا واسفًا

فلما أصيب جبرائيل بهذه البليّة التي جرحت اعزّ عواطفهِ واحبّها اليهِ زهد في الدنيا وودّعها وداعاً ابديًا وفي اليوم التالي غادر سرًا وطنهُ وقد ذاهبًا الى جبل اللكام

---

١) راجع مقالة المشرق المنونة قرا غريغون (١ : ٥٩) ثم كتب الموازنة الطقسية من مخطوطة ومطبوعة ٢) تاريخ الدويهي ٢١٢

وكان الرئيس قد اقام الاب جرمانوس وكيلًا عنهُ في ادارة شؤون الدير مدَّة غيابهِ ولذلك كرَّر عليهِ قبل السفر ما كان قد اوصاهُ بهِ قبلًا من العناية بالفقراء والمحتاجين واضافة المسافرين واكرامهم مع اكمال نسخ الكتاب الذي كان قد بدأ هو نفسهُ بنسخهِ. وكان تأليفًا تاريخيًّا جزيل الاهميَّة لاحد قدماء كتبة المؤرخة المعروف بقيس الماروني وموضوعهُ اصل الدنيا والمدن والامم وملوك الروم وغيرهم مع ذكر اخبارهم وهو ينتهي بذكر خلافة المكتفي (١. وبما ان نسخهُ كانت قد عزَّت كثيرًا لم يتوصَّل الرئيس الى نسخةٍ منهُ الَّا بعد الجهد والمشقَّة والبحث الكثير فابتاعها بثمن غالٍ وابتدأ بنسخها

وبعد ذلك غادر الدير مع رفيقهِ وما كان غير قليل حتى غابا عن الابصار ما بين اشجار الغاب (ستأتي البقيَّة)

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٤ المطابع في بيروت

المطبعة الوطنية ثم اللبنانية ثم السليمية

٨ (المطبعة الوطنيَّة) ظهرت هذه المطبعة بعد المطبعة الخاصيَّة بزمن قليل انشأها الخواجا جرجس شاهين سنة ١٨٥٥ وكان ابتاعها من المعامل الاوربية فاشتغل بها مع الخواجا حنَّا جرجس الغرزوزي سنة ١٨٦٨ وبقيا في شركتهما مدَّةً ثمَّ انفصلا واشترك جرجس شاهين مع اسكندر مسك وسليم تاحوق ولم تطُل شراكتهم. امَّا الخواجا حنَّا الغرزوزيّ فانشأ مطبعة بما حصل لهُ من قسمتهِ مع جرجي شاهين ودعاها بالمطبعة اللبنانية ونشر فيها المطبوعات على حسابهِ

ثم اشترى بقيَّة ادوات المطبعة الوطنيَّة واتمَّ عدَّة كتب كانت تلك المطبعة باشرت في نشرها ولذلك ترى قسمًا منها باسم المطبعة الوطنية وقسمًا باللبنانية. وفي سنة ١٨٧٢ تولَّى امر المطبعة سليم افندي نقولا مدرِّر فسمَّاها باسمهِ السليميَّة وطبع فيها نحو ثلاث

١) المسعودي: كتاب التنبيه والاشراف (ص ١٥٣)

سنين. ثمّ باع قسماً منها للطائفة الارثذكسيّة لمطبعتهم المعروفة بالقديس جاورجيوس. ونقل القسم الآخر الى دمشق سنة ١٨٧٤ وصارت بعد مدّة الى يد محمّد افندي الحنّي

وهذه قائمة اخصّ الكتب التي طُبعت في هذه المطابع على حسب تاريخها:

(المطبعة الوطنية) ١ً قصّة الاميرة عادلابدة برونسفيك ترجمها عن الايطالية المعلم ميخائيل فخر (١٨٦٥. ص٤٠٤) = ٢ً قصّة جنفياف تعريب ميخائيل جهشان (١٨٦٥). ثمّ تكرّر طبعها مراراً = ٣ً قصّة علي الزيبق. ولم يتم منها الّا قسم = ٤ً سيرة عنترة بن شداد العبسي في نحو ٢٠٠٠ صفحة. طُبع منها قسم في المطبعة الوطنية سنة ١٨٦٥ وتمّ طبعها في المطبعة اللبنانية سنة ١٨٧١. ثمّ جُدّد طبعها في المطبعة الادبية سنة ١٨٨٣ ثمّ آخراً في مطبعة الاداب سنة ١٨٩٥ = ٥ً كتاب البدر المنير في اصول حساب الزنجير للمعلم سليم غالية (١٨٦٥. ص٤٠) = ٦ً قصّة الزير ابي ليلى المهلهل (١٨٦٦. ص ١٤٥) = ٧ً ديوان الزناتي خليفة (١٨٦٦. ص ١٨٢) = ٨ً مقالتان في الحسد ومحبّة القريب للشماس يوسف عقل اللبناني (١٨٦٧. ص ٤٢) = ٩ً كتاب نخبة الآداب لتنوير ألباب الفتيان والشباب للمعلم ايوافي بابادوبولس (١٨٦٧. ص ١٥٦) = ١٠ً تزيين نهاية الارب في اخبار العرب لاسكندر آغا ابكاريوس (١٨٦٧. ص٨-٤٠) = ١١ً سيرة نابوليون الاول لنكولوتل كالينارس (Calligaris) وهي طبعة ثانية منقولة عن طبعة باريس ١٨٥٦ وطُبعت في المطبعة الوطنية سنة ١٨٦٨ (ص ٤٢٧) = ١٢ً تاريخ اسكندر ذي القرنين المكدوني عن ترجمة قديمة (le faux Callisthène) (١٨٦٨. ص ١٥٦) = ١٣ً ديوان العارض ضبطهُ القس لويس صابونجي (١٨٦٨. ص ٦٥) = ١٤ً قصّة قيس بن الملوّح العامري وهو مجنون ليلى (١٨٦٨. ص ٨٨) = ١٥ً كتاب اللامعة في شرح الجامعة للشيخ ناصيف اليازجي (١٨٦٩ ص ١٢٧). = ١٦ً الردّ القويم بقلب سليم لسليم تاجرق اللاتيني مذهباً وردّاً على الارثذكسيت غبرائيل جياره (١٨٧٠. ص ٥١). وبعض كتب اخرى لم نقف عليها

٢ (المطبعة اللبنانية) ١ً الصحيفة الرضية اللامعة في اعدام الدياثة البرانية (١٨٦٩. ص ٥٥) = ٢ً حسن السلوك في واجبات اللياقة والادب (١٨٧١. ص٢٧) = ٣ً كتاب مصباح العصر في تواريخ شعراء مصر للمعلم اسعد منصور العضيمي (١٨٧٢. ص ٧٢) = ٤ً ديوان القس المشرق في بلاد المشرق من نظمهِ (١٨٧٢. ص ٤٨) — وقد جُدّد في هذه المطبعة طبع عدّة قصص وروايات كسيرة بني هلال وتغريبهم وتتمّة قصّة علي الزيبق وسيرة عنترة وغير ذلك من حكايات وقصائد ومراثي

وهذه المطبعة اللبنانيّة بطلت بضع سنين لمّا اشترى ادواتها سليم افندي نقولا مدوّر الّا انّ صاحبها حنّا افندي غرزوزي انشأ نحو سنة ١٨٨٠ مطبعةً ثانية دعاها ايضاً باللبنانيّة ثمّ زاد في ادواتها وابتاع آلة مطبعتنا البخاريّة القديمة فاشتغل بها ابنهُ جرجي نحو عشر سنوات وهي الآن في يد الخواجا يوسف صادر تُدعى المطبعة العلميّة. والمطبوعات التي في هذه المطبعة اللبنانيّة المستحدثة هي الآتية:

١ً كتاب وقائع نلياك . طبعة ثانية نقّحها وضبطها شاهين عطيّة (١٨٨٥ . ص ٤٢٦) = ٢ً ديوان جمال الدين ابن ناتة المصري (١٨٨٦ . ص ٦٤) = ٣ً ديوان ابن مانئ الاندلسي (١٨٨٦ . ص ٢٢٢) = ٤ً تاريخ الرومانيين لنجيب ابراهيم طراد (١٨٨٦ . ص ١٧٣) = ٥ً تاريخ الدولة المكدونية لهُ (١٨٨٦ . ص ٢٣٠) = ٦ً العقد الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين طرفة وزهير وامرئ القيس نقلًا عن طبعة لندرة (١٨٨٦ . ص ١٣٠) = ٧ً قصّة الامير حمزة بطولات في اربعة اجزاء بقلم المتواجا نخله قاقاط (١٨٨٦–١٨٨٨ . ص ١٠٩٦) = ٨ً تراجم بعض اعيان دمشق للشيخ عبد الرحمان ابن شاشو (١٨٨٦ . ص ٢٣٠) = ٩ً السحر الحلال (١٨٨٦ . ص ٦٤) = ١٠ً تاريخ روسيا في اربعة اجزاء منسوق بقلم نخله قلفاط (١٨٨٦ – ١٨٨٨ . ص ١٠١٥) = ١١ً مصباح الافكار في نظم الاشعار للمعلم شاكر شقير اللبناني (١٨٨٨ . ص ٨٨) = ١٢ً تقرئة العباد في مدينة بغداد للمعلم نابولبون ماريني (١٨٨٨ . ص ١١٩) = ١٣ً كتاب الكلم النوابغ للامام ابي القاسم الزمخشري . نشرهُ وحلّ الفاظهُ اللغويّة الشيخ محمّد الكتبي (١٨٨٩ . ص ١٤٣ – ولعلّهُ طُبع غير ذلك من الكتب التي فاتت عنّا اسماؤها . وفي هذه المطبعة نشرت مجلة الصفا في سنتها الثانية والثالثة ١٨٨٧ و ١٨٨٨) ثمّ ابتاع صاحب الصفا لنفسهِ مطبعة خصوصية طبع بها نحو سنتين ومن كتب هذه المطبعة كتاب القسطاس في علمي العروض والقوافي لاحمد افندي الازبدي (١٣٠٧ – ١٨٨٩ . ص ٤٠)

٣ (المطبعة السليميّة) هذه اسماء مطبوعاتها البيروتيّة :

١ً المرقاة في مبادئ الصرف والنحو للمعلم شاكر شقير اللبناني (١٨٧٢ . ص ٥٦) = ٢ً ديوان الشيخ مصطفى افندي البابي (١٨٧٢ . ص ٢١٣) = ٣ً الوشحات المصباحيّة لمصباح افندي رمضان (١٨٧٣ . ص ١٦) = ٤ً ديوان ابي فراس الحمداني (١٨٧٣ . ص ١٥١) = ٥ً قصّة الراعي في بقعة سالو باري (١٨٧٣ . قطع صغير ص ١٠٤) = ٥ً منظومات المنديّ (١٨٧٣ . ص ١١٩) . ثمّ جُدّد طبعهُ في مطابع أُخر = ٦ً ديوان احمد بن ابي قاسم الخلوف الاندلسي . طُبع اولهُ في بيروت وتمّ طبعهُ في دمشق (١٨٧٣–١٨٧٩ . ص ٢١٣)

٤ (المطبعة العلمية) هذه قائمة مطبوعاتها :

١ً شواهد ابن عقيل للشيخ قطّه العدّويّ (١٨٩٠ ص ١٤٠) = ٢ً مطبوخ المكتبة الاسوية من السنة ١٨٩٢ الى ١٩٠١ معرب عن الارمنية بقلم حضرة الاب الخوري سوكياس چرمان الارمني = ٣ً مغني المتداعين عن الحامين لجان نقولا نقّاش الجزء الاول (١٨٩٢ ص ٩٤) اما الثاني فطُبع فيها سنة ١٨٩٥ (ص ١٥٦) = ٤ً كتاب تعليم القراءة العربية لابناء المدارس الكاثوليكية جمع يوسف صادر (١٨٩٢ . ص ٢٢) = ٥ً ديوان الشيخ عمر اليافي (١٣١١–١٨٩٣ . ص ١٩١) = ٦ً كتاب اصول الطبخ ليوسف صادر (١٨٩٣ ص ١٢٠) = ٧ً تعليم القراءة العربية (١٨٩٤ . ص ٢٨) = ٨ً زبدة الصنائع والفنون جمعهُ يوسف صادر (١٨٩٥ ص ١٢٦) = ٩ً الشجيرة الدرية (١٨٩٦ . ص ٥٠٨) = ١٠ً كليلة ودمنة ١٨٩٦ . ص ٢٦٤) = ١١ً رواية الجهلاء المدّعين بالعلم (١٨٩٧ . ص ٢٢) = ١٢ً رواية حسناء بيروت

علم« مؤلف الكلام الحيّ» (١٨٩٨. ص١٩٧) = ١٣ً تسعة تأمّلات استعدادًا ليوم مارون (١٨٩٨. ص ١٦) = ١٤ً خدمة القداس الالهي بحسب الطقس الماروني (١٨٩٩. ص ٢٢). = ١٥ً القلادة الذهبية في المنتخبات التهذيبيّة جمعهُ سليم (١٨٩٩، ص١٠٤) = ١٥ً برنامج جمعيّة طوبيًا البار وبرنامج اخوات الشفقة المارونيين. وفي هذه المطبعة تطبع عيّنًا ثمرات الفنون والمحبة

وهذه كتب اخرى طُبعت في هذه المطبعة دون تاريخ:

١ً سُلّم القراءة العربية (ص٤٢) = ٢ً الاناجيل الاربعة منقولة عن طبعتنا = ٣ً الزهرة اللبنانية في مبادئ تعليم القراءة السريانية للمعلم منصور الحكيم = ٤ً كتاب شهر حزيران المخصّص بعبادة قلب يسوع الاقدس للخوري بولس مناسا النطاوي (ص١٧٥) = ٥ً الشهر المريمي لهُ (ص٢٢٨) = ٦ً تعريب الصلوات الموجودة في الشحيمة السريانية بقلم الخوري انطونيوس شهوان النطاوي والقس عبد المسيح الحلبي (ص٢٥٦) = ٧ً كتاب ترويض الاذهان في تقويم البلدان لسليم صادر (ص٢٠٠) = ٨ً مختصر منهُ (ص١٧٤) = ٩ً كتاب الترجمان الفرنسويّ باللفظ العربي ليوسف صادر (ص١٧٦) = ١٠ ترويض الالباب في علم الحساب (ص ١٨٠) = ١١ً مختصرهُ (ص ٤٨). وممّا طُبع ايضًا في هذه المطبعة عدّة قصص وروايات طُبعت سابقًا في المطبعة الوطنيّة والمطبعة اللبنانية

٩ (المطبعة السريانية) أُنشئت هذه المطبعة في بيروت سنة ١٨٦٥ على يد طائفة السريان. وكانت حروفها نضرةً شبيهةً بالحروف العربية المكتوبة في النسا وكانت اكثر مطبوعاتها اوراق تجاريّة. وممّا طُبع فيها كتاب اصول القراءة العربيّة والتهذيبات الادبيّة للقس لويس صابونجي (سنة ١٨٦٦. ص ٥١٠) وكنّا ذكرناهُ سهوًا في جملة مطبوعات المطبعة الشرقيّة لحنا النجار. وهذه المطبعة نُقلت بعدئذٍ الى دير الشرفة في لبنان وطُبع فيها كتاب خدمة القداس حسب الطقس السرياني (سنة ١٨٧٩. ص١٩)

١٠ (مطبعة المعارف) كان منشئ هذه المطبعة الفاضل الهمام خليل افندي سركيس سنة ١٨٦٧ واتخذ لها الحروف الاميركيّة والانكليزيّة. ولمّا اكمل معدّاتها تشارك معهُ في استثمارها المعلم بطرس البستاني سنة ١٨٦٨. فاشتغلت ثماني سنوات الى ١٨٧٦ حيث فُسخت الشركة. فانشأ خليل افندي سركيس مطبعتهُ المعروفة اليوم بالمطبعة الادبية وبقيت مطبعة المعارف في ملك المعلم بطرس البستاني وبنيهِ فطبع فيها عدّة كتب الى ان أُبطلت نحو سنة ١٨٨٨. وهذه قائمة مطبوعاتها التي امكننا الوقوف عليها:

١ً قسم من قطر المحيط (١٨٦٩. ص٢٤٥٢) = ٢ً الجزء الثاني من قاموس محيط المحيط

للمعلم بطرس البستاني (١٨٧٠) اما الجزء الاول فطبع في المطبعة الاميركانية بمجموع صفحاته ٢٢٠٨ = ٣ صحيفة الجنان انشئت اول عام ١٨٧٠ وظهرت الى سنة ١٨٨٥ = ٤ صحيفة الجنة كان ايضاً ظهورها في اول عام ١٨٧٠ وانقطعت سنة ١٨٨٥. وكان متولي هاتين المريدتين سليم افندي البستاني ثم اخوه نجيب = ٥ المنينة انشئت ايضاً سنة ١٨٧٠ وكانت يومية ولم تطل مدتها = ٦ رواية تليماك للمعلم سعد الله البستاني (١٨٧٠.ص ١٢١) = ٧ كتاب الفرقدين (١٨٧١.ص ١٠٢) = ٨ كتاب النسق البهج في اللغة الانكليزية. عربهُ يوسف الخوري اسباط (١٨٧١. ص ١٨٤) = ٩ كتاب تاريخ حرب الحبش والانكليز (١٨٧١.ص ٣٠٠) = ١٠ طوارق الحدثان في تاريخ مكسيملبان (١٨٧١.ص ١٢٠) = ١١ التحفة الانيسة في النوادر النفيسة لنا افندي انكار يوس ثلاثة اجزاء (١٨٧١-١٨٧٦. ص ٤١٥) = ١٢ درّ الصدف في غرائب الصدف لفرنسيس فتح الله مرّاش (١٨٧٢.ص ١٢٨) = ١٣ كتاب المرآة الحلية لهيئة القلب الداخلية مزين بعشر صور (١٨٧٢. ص ٨٠) = ١٤ كتاب رشدة الطلاب في صرف ونحو اللغة العثمانية لفارس افندي الخوري (١٨٧٢. ص ٤٣٠) = ١٥ الدر المنتخب للقديس يوحنا فم الذهب (١٨٧٢. ص ٢٢٦) = ١٦ شرح ابن عقيل على الفيّة ابن مالك (١٨٧٢. ص ٢٢٦) = ١٧ شرح ابيات شواهد ابن عقيل (١٨٧٢. ص ١٩٤) وكلاهما طبع بعدئذٍ في المطبعة الادبية ١٨ مقامات الحريري مع شرح الفاظها اللغوية (١٨٧٣. ص ٥٦٤). ثم جُدّد طبعها في المطبعة الادبية = ١٩ ديوان فتح الله مرّاش المعروف بالمرآة الحلاء (١٨٧٣. ص ١٤٨) = ٢٠ كتاب التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية (١٨٧٣. ص ٢٠٩) = ٢١ مدخل الطلاب الى فردوس لغة الاعراب لسليم افندي ثقلا (١٨٧٣.ص ٢٧١). = ٢٢ انتقاد عليّ رشيد شاهين الخوري في كتاب دعاهُ كشف النقاب عن مدخل الطلاب (ص١٦) = ٢٣ كتاب فصل الخطاب للسيد جرمانوس فرحات (١٨٧٣.ص ١٥٦) = ٢٤ كتاب العقود الدرية في تاريخ المملكة السورية لالياس ديب مطر (١٨٧٤. ص ١٩٢) = ٢٥ كتاب تاريخ اورشليم او القدس الشريف لخليل افندي مركيس (١٨٧٤. ص ٢٠٤) = ٢٦ قرعة الانظار في كشف الاسرار (١٨٧٤.ص٨) = ٢٧ دائرة المعارف. طُبع منها في مطبعة المعارف ثمانية اجزاء (١٨٧٦ ١٨٨٥) = ٢٨ كنز لغات وهو قاموس تركي وفرنسي وعربي. للشيخ فارس افندي الخوري (١٨٧٦.ص٢٨٠) = ٢٩ شجرة الثوت ودود الحرير لاسعد اسحاق ثابت (١٨٧٦.ص ٥٣) = ٣٠ كتاب رجال السياسة والمالية والتجارة لسليم افندي البستاني (١٨٧٩.ص٤٠) = ٣١ تاريخ فرنسا الحديث لسليم افندي البستاني (١٨٨٤. ص١٠٤٠) = ٣٢ قصة روبنسن كروزي (الجزء الثاني ١٨٨٥) وكان الجزء الاول طُبع سابقاً في المطبعة الاميركية = ٣٣ قصة سعيد وسعدى = ٣٤ رأس صخرة الشيطان = ٣٥ قصة فيروزشاه بقلم نخله فلفاط اربعة اجزاء (١٨٨٧. ص ١٢٤١) = ٣٦ قصة مثيلدة ترجمة سامي افندي الصيري جزءان (١٨٦٥. ص ٤٠٧ و ٢٦٧)

مطبوعات شرقية جديدة

HISTOIRE DES ROIS DES PERSES
par Abou Mansour Abd al-Malik al Taâhlibi
texte arabe publié et traduit par H. Zotenberg, Paris 1900 I.- 758

غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم لابي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي

من جملة التُحف الادبية التي قدّمها العلماء لمعرض باريس في السنة المنصرمة كتاب جليل القدر تولّت نشرهُ المطبعة الوطنيّة الفرنسيّة فجعلتهُ كتحفة نفيسة تجاري بها المطبوعات الشرقيّة التي تسعى الدول الاجانب في طبعها. امّا الكتاب فهو غُرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم لابي منصور الثعالبي عُني بنشرهِ ونقلهِ الى اللغة الافرنسيّة العلامة ه. زوتنبرغ ناظر المطبوعات في مطبعة باريس الوطنيّة واحد افاضل الادباء المستشرقين الذين احرزوا لهم بتآليفهم العديدة اسمًا مستفيضًا. وهذا الكتاب الجديد كان مسجيًّ في اكفان النسيان فاحياهُ العالم المذكور واستحق بذلك شكرًا جزيلًا لاسيّما ان الكتاب يتضمّن الفوائد الجمّة التي لم يدوّنها في العربية غير الثعالبي من اخبار قدماء الفرس وملوكهم مع ذكر آدابهم وحكمهم وتواريخهم وسُننهم ورسومهم وحروبهم ومحاسنهم ومقابحهم أخذ ذلك عن كتب فارسيّة وعربية سبقهُ اليها غيرهُ فسقطت على اكثرها يد الضياع. وقد بيّن المسيو زوتنبرغ في مقدّمة الكتاب التي تناهز الخمسين صفحةً ما لهذا التأليف من الخواصّ وما لصاحبهِ من الفضل في وضعهِ كما انهُ رجّح كون الثعالبي لم يعرف كتاب شاهنامه للشاعر الفارسيّ فردوسي الشهير الذي ظهر قبلهُ بسنين قليلة. امّا ترجمة هذا التأليف فتدلّ على دقّة نظر صاحبها وسعة علمهِ بلغتنا العربية فادّى معانيهِ بكل امانة الّا اماكن قليلة شعريّة فالتبست عليهِ. وليس الكمال الّا لله

دفاع بلفنا

تأليف عظم زاده حقّي

طُبع في القاهرة في مطبعة الترقي (١٣١٨-١٩٠٠. ص١٤٣)

اصبح اسم الغازي عثمان باشا منذ دفاعهِ عن بلفنا مرادفًا للبطل الصنديد والاسد الهصور اقرّ لهُ بهِ نفس اعدائهِ يوم رأوا فيهِ من الهمّة القعساء والبسالة الفائقة ما حمل

الغراندوق نيقولا ان يصافحهُ قائلًا: « اهنئك من صميم الفؤاد على دفاع باهر قمتَ به وعمل عظيم سيخلد لك ذكر الفخر في صفحات التاريخ الى الابد ». فكان لهذه الكلمة صدًى في قلوب كثير من العثمانيين الذين ارادوا ان يزيّنوا تاريخهم بوصف هذا الدفاع الجليل فيتركوا لأبنائهم مثلًا شريفًا يأتمّون بهِ عند مسيس الحاجة. من جملتهم احمد جمال بك في اللغة التركيَّة والفريق مظفر باشا بالفرنسيَّة. فلم يشأ الكاتب الاديب عظم زاده حتى ان تُحرم العربيَّة كتابًا يذكر ابناء العرب بوقائع بلقنا فصنَّف هذا التأليف وصدَّرهُ بنظرٍ عام في الحرب التي دارت رحاها سنة ١٨٧٧ بين الدولة العليَّة والدولة الروسية ثمَّ استوفى الكلام عن بلقنا التي اضحت كمركز لكل حركات جيوش الدولتين في بلغاريا وبيَّن ما احرزهُ لهُ الغازي عثمان باشا في دفاعهِ عنها من المجد المؤثل بشهامتهِ ومعرفتهِ بالآداب الحربية. وقد روى المؤلف كل ذلك بطريقة سهلة يُستشفُّ من ورائها روح الحميَّة الوطنية. وفي اول الكتاب خارطة تقرّب للقارئ إدراك الحركات العسكريَّة فنشكر لمؤلف هذا الكتاب حرصهُ على مفاخر الوطن ونتمنى لتصنيفهِ رواجًا

تساعية لاكرام القديس انطونيوس الكبير

عُني بطبعها حضرة الاب الفاضل القس افرام الدبراني

طُبعت في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٠٠. ص ١٦

كان هذا الكتاب قد طُبع سابقًا فنفد طبعهُ. واذ رأى حضرة الاب الفاضل القس افرام الدبراني قرب عيد القديس انطونيوس ابي الرهبان اراد ان يسهّل لهم الاستعداد لحفلة عيدهِ فجدَّد طبع هذه التساعيَّة واضاف اليها عدَّة فوائد تزيد ثقة الرهبان بشفيعهم القديس وتعبُّدهم لهُ. والكتاب مطبوع بالكرشوني متقن الطبع لهُ غلاف جميل يزيّنهُ

BAAL-ARVAD

d'après la numismatique des rois phéniciens d'Arvad

par le Dr Jules Rouvier, Paris 1900 *pp.* 15

بعل ارواد وفقًا لما جاء في مسكوكات ملوكها الفينيقيين

هي مقالة افرنسية حسنة للدكتور جول روفيه بحث فيها عن معبود اهل ارواد الفينيقيَّة وهو المعروف ببعل ارواد فبيَّن خواصَّهُ المفرزة لهُ استنادًا الى النقود القديمة التي ضُربت في تلك المدينة قبل عهد الاسكندر واستنتج من ذلك انَّ هذا الاله هو الصنم

داجون الذي كان يعبده اهل عسقلان على صورة سمكة ولمَّا فتح اليونان بلاد فينيقية حوَّل اهل ارواد معبودهم الى معبود آخر يجري شبيه به عند اليونان وهو پوسيدون ل.ش

العدد الاول من « المجلة الصحية » مجلةٌ طبيَّة صحيَّة تصدر في القاهرة مرة في الشهر رئيس تحريرهـا الدكتور اديب زيَّات. مديرها الصيدلي نجيب عناجه

شذرات

حلّ اللغز الهندسي الوارد في العدد السابق ارسل لنا حضرة الاب الفاضل والرياضي البارع الخوري جبرائيل رزق مرهج احد اساتذة مدرسة عين طورا العـامرة حلّ اللغز الهندسي الذي ابتناهُ في العدد السابق. وهذه صورتهُ الهندسيَّة تغني عن شرحه

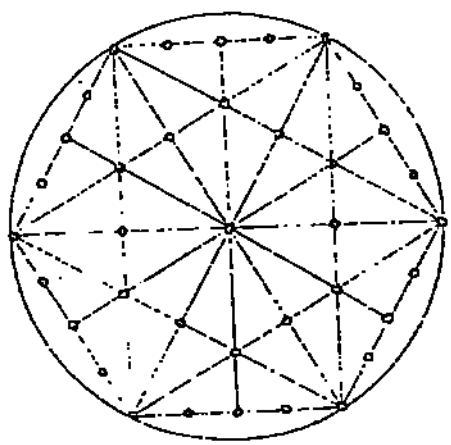

فلا يخفى ان الصفوف ١٨ لان الاضلاع ٦ ومجموع الاوتار ٩ حسبما يؤخذ من مبادئ الهندسة والقوائم ٣ فيكون المجموع: ٦+٩+٣=١٨ صفًّا. امَّا عدد التلاميذ فهو: على المسدَّس الخارجي ٦+(٥—١) = ٢٤ وعلى المسدس الداخلي: ٦ (٣—١)= ١٢ وفي المركز تلميذ واحد فالمجموع ٢٤+١٢+١=٣٧ تلميذًا ..

اللغز الرياضيّ قد حلَّ كثيرون هذا اللغز فنؤجل الى عدد آخر ذكر اسمائهم مع صورة الحلّ حسابيًّا وجبريًّا

تحيَّة السنة الفضيَّة للكليَّة اليسوعية نظم جناب الشاعر الاديب المعلم يوسف ابو سليمان في نسبة يوبيل كليَّتنا الفضيّ قصيدة عامرة الابيات لم يسمح لنا ضيق المكان باثباتها فنجتزئ بذكر بعض محاسنها. واوَّلها:

فـ برجٌ شاعَ البيانِ بالفضل بات موطَّد الاركانِ

الى ان قال يصف تعلّق معلّمي الكليّة بالكرسي الرسولي :

هذي اصول الدين قد رسخوا بها ... مأخوذةً عن اصلها الرباني
محفوظةً عن بطرس ذاك الصفا ... راعي الرعاة وصخرة الايمان
أو ما دريتَ بأنهم حرّاسها ... يغدونها بالروح والابدان
فشعارهم مجد الاله وشأنهم ... خير النفوس بخيبة الشيطان

ثمّ قال في الذوات الذين تخرّجوا فيها :

كم من بطارکةٍ ربوا بربوعها ... فغدوا يُشار اليهم ببنان
كم من اساقفة غذوا بلباننا ... كم كاهنٍ منها وكم ملفان
كم جهبذٍ كم عاقلٍ منها بدت ... احكامهُ تحكي نهى لقمان

وله في جريدة البشير ومجلة المشرق :

هذا البشيرُ جا تراهُ روضةً ... غنّاء عاطرةً كعُرف بُنان
نشرُ الحقيقة دأبهُ لا يثنني ... عن دحض قول جاء بالبهتان
ومجلّة في الشرق اشرق نورها ... فتقشعت منهُ دجى الظلمان

وقال في الختام :

يا دارُ ابقاك الاله نعيمةً ... وعزيزة ما اشرق القمران

خليل عبد النور وحامد الموصلي بعد ان حلّت الروضة جيدها بقلادة صاغتها يد الشيخ حامد الموصلي كما نوّهنا بهِ في عددنا السابق لم تجد لهذه القلادة واسطةً افخر من طرفةٍ مستطرفة ابدعها يراع « جناب الاديب البارع خليل افندي عبد النور من جونية ». فأيم الحقّ انّ من اطّلع على هذه الرسالة لم يعد يبقى لهُ ادنى ريب في ان طبعة بحث المطالب الجديدة أنست الطبعات السابقة بمحاسنها لا ينقصها شيء من اسباب الكمال وانها بلا مراء هي النسخة الاصليّة التي خطّتها يمين المطران جرمانوس فرحات الطاهرة قنعنا ام لم نقنع . هدانا الله الى صراطهِ المستقيم بنور عبد النور

أسئلة واجوبة

س سألنا حضرة الاب الفاضل ف. ش. عن بعض اوامر للمجمع المقدس في مكان وطريقة توزيع سرّي القربان والتوبة هل يخطئ الكاهن في اهمالها

توزيع سرّي التوبة والقربان

ج للمجمع المقدّس في هذا الخصوص صنفان من الاوامر . فمنها ما هو موجب لازبٌ (præceptivum) يُخطئ من ينقضهُ خطأً مميتاً او عرضيّاً حسب الموضوع

والاحوال. ومنها ما هو لارشاد الكهنة (directivum) يقتضي الامتثال لهُ الّا اذا دعا داعٍ صوابي للعدول عنهُ. امّا اذا أُهمل استهتاراً وسبَّب اهمالهُ للمؤمنين شكًّا فيمكن الكاهن ان يقع في وصمة خطيئة لا تتجاوز في الغالب الخطأ العرضيّ

س وسأل من صيداء الاديب ي. ا. لاي سبب جُعل بدء السنة في غرَّة كانون الثاني ابتداء السنة في اول كانون الثاني

ج قد اجبنا على هذا السؤال في المشرق (١ : ١٤٢) فليُراجع

س وسأل احد وجوه النزالة الفرنسوية في الشر : ما لتقويم البشير لم يذكر كسطوخ الارمن ١° خسوف القمر الجزئي في ٣ نيسان القادم. و٢° كسوف الشمس الحلقي الذي سيرى في الاستانة في ١١ تشرين الاول

خسوف القمر في ٣ نيسان وكسوف الشمس في ١١ تشرين الاول

ج نجيب على الاول انَّ سطوخ الارمن قد وهم في ذكرهِ الخسوف القمريّ في ٣ نيسان ولعلَّهُ اراد ٣ ايار وفيهِ يحدث خسوف قمري ضرب تقويمُ البشير صفحاً عنهُ لأنَّهُ لا يُرى بالعين المجرَّدة — وعلى الثاني انَّ سطوخ الارمن مخطئ ايضاً في ذكرهِ كسوف الشمس الحلقي في ١١ تشرين الاول. والصواب ١١ تشرين الثاني ولا يُرى هذا الكسوف حلقيًا لا في آسيَّة ولا في اوربَّة. وسيراهُ اهل بيروت والاستانة جزئيًّا

س وسأل جناب الفاضل ميخائيل افندي ليان سركيس لاي سبب جعل الاوريون اول ساعتهم الظهر لا في المساء كما يفعل الشرقيّون

بدء الساعة الفرنجيَّة وقت الظهر

ج سبب ذلك لانَّ ساعة غروب الشمس تختلف اختلافاً كبيراً. فيقتضي تغيير الساعة العربية كل اسبوع. بخلاف الساعة الفرنجيَّة فانَّ بناءها على الوقت المتوسّط فتجري كل السنة على سرعةٍ متساوية. وان قيل انَّ وقت الظهر الحقيقي يسبق ايضاً مراراً الزمن المتوسط او يتأخر عنهُ بنحو ربع الساعة اجبنا انَّ هذا الاختلاف اخفّ من اختلاف ساعات الغروب ويسهل اصلاحهُ بالساعة الشمسيَّة ل. ش

اصلاح بعض اغلاط : ذكرنا في الصفحة ٨ من العدد السابق اسماء بعض الوجوه بغير الالقاب اللائقة برتبهم « كرفتلو حنّا افندي عورا » والصواب « جرُّتلو » — وفيها س ١٤ : « مدير الحرد » والصواب « مديرا » — وفيها س ١٨ : « وكتبة قلم » والصواب « من كتبة » = ص ١٠ س ٢٤ « تستفزُّهم » والصواب « يستفزُّهم » ص = ١٢ س ٢ « يعيد لهُ » والصواب « يعدنهُ » — وفيها س ١٧ « بغم » والصواب « بغم » = ص ١٣ س ٢ « خيالاً » والصواب « خبالاً » = ص ١٤ س ٥ « هذا الحكم » والصواب « الحلم » = ص ٣٨ س ١ « السبت ١٢ » والصواب « ١٦ »

قائمة الآثار الجوية من ٢٠ كانون الأول ١٩٠٠ الى ٨ كانون الثاني ١٩٠١

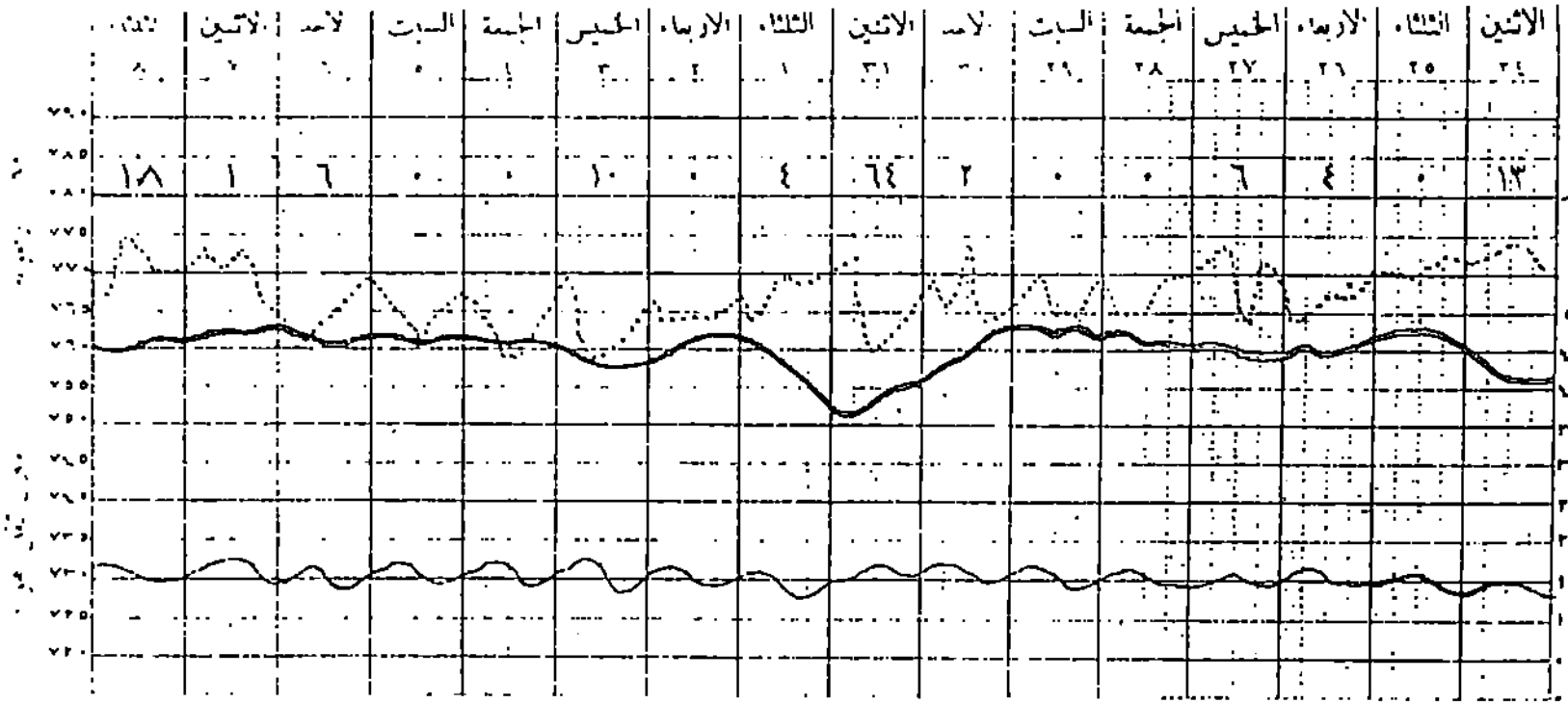

ان الخط الضخم (——) يدل على ميزان ثقل الهواء معروف بالبارومتر . والخط الرفيع المتقطع (- - -) على ميزان الحرارة (ترمومتر) .

اما الخط المنقط (٠٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هيغرومتر) — والاعداد الدالة على درجات ثقل الهواء تدل على ان اذا اضيف صفر الى العدد المثبت على درجات الرطوبة وقد عين التسخير وميزان المطر في ٢٩ ساعة بالملمترات وعشر الملمترات